

مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

ما وراء الطبيعة

77

أسطورة الفتاة الزرقاء

د. أحمد خالد توفيق

مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة



روايات تحبس الأنفـــاس
من فرط الغموض والإثارة



د. أحمد خالد توفيق

أسطورة الفتاة الزرقاء

عندما يتحركون فى الظلام ويلتقون فى أماكن مقفرة ، وعندما يتخاطبون بكلمات السر ، وعندما تدرك أنهم يخفون سرًّا مفزعًا .. عندئذ لا تتدخل فى شئونهم .. ابتعد وأبق رأسك منخفضًا ، وإلا فلا تلومن إلا نفسك ..

حتى إمساكك بهذا الكتيب مخاطرة .. انه يحوى معلومات عنهم أكثر مما ينبغى ومما يسيغون .. معنى هذا أنك مهتم بشأنهم ، وأنك لا تبالى بخطرهم .. فليكن إذن ..

العدد القادم

أسطورة حامل الضياء

الثمن ف...
وما يعادلـه ...
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسســة العربيــة الحديثــة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية



77

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

أسطورة الفتاة الزرقاء

روايات مصرية للجيب

●

ما وراء الطبيعة

روايــــات تحبـس الأنفـــاس

من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصـنف مصـرى مائة فى المـائة

لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس

أو النقل عن أية قصص أوربية .

●

إشراف

الأسـتاذ / حمـدى مصـطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ــ المطابع 8 ، 10 شارع المنطقة الصناعية بالعباسية ــ منافذ البيع 10 ، 16 شارع كامل صدقى الفجالة ــ 4 شارع الإسحاقى : بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ــ القاهرة ت : 26823792 ــ 25908455 ــ 22586197 ، فاكس : 202/2596650 ج.م.ع ــ الإسكندرية 4 شارع بدوى / محرم بك ــ ت : 03/4970840 ــ 03/4970850

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط
الغمـــوض والرعـــب والإثارة

77

•

أســــطورة الفتاة الزرقــاء

بقلم : د. أحمد خالد توفيق

الغـلاف بريشـــة : أ. أيمـن القـاضى



المقدمة

أنا أمقت وضع الخطوط الكثيرة فى الكتب ..

عندما تقترض منى كتابًا فلتتذكر هذا جيدًا .. لا شىء مثل هذا التصرف يخرجنى عن طورى ، خاصة عندما لا تكون خطوطى أنا .. هكذا أجد الخطوط تحت أسخف العبارات وأكثرها غباء . مثلاً عندما أجد ألف خط تحت عبارة مثل (نحن لا نعرف المستقبل لأنه لم يأت بعد) أو (المعدن الحقيقى للصديق لا يظهر إلا فى الشدائد) ، فإننى آخذ فكرة عن تفكير الأحمق الذى وضع هذه الخطوط . عندما أضع أنا خطًا فلتتأكد أنه تحت عبارة مذهلة خارقة للعادة .

يزداد غيظى عندما أكون على يقين من أننى لم أقرض هذا الكتاب لأحد .. إنه فى مكتبتى على ذلك الرف منذ عشرين عامًا . الغبار هو الغبار ونسيج العنكبوت الواهن هو هو .. إن أم (شخص ما) التى تنظف شقتى لا تعنى بهذا الركن أبدًا .

أنا كذلك أعرف يقينًا أننى لم أقرأ هذا الكتاب منذ زمن ، ولو قرأته لما وضعت خطوطًا على هذه المقاطع السخيفة ..

إذن من فعل هذا ؟

تعودت ألا أسأل عما يسبب أى شىء فى شقتى ، فهى مزدحمة منذ زمن .. لكنى لم أعتد كذلك أن تقوم الأشباح برسم الخطوط فى كتبى .. هذا غريب ..

لم تعد الأشباح مهذبة راقية كما كانت ..

فى بيت القس بورلى Borley Rectory فى بريطانيا ــ أكثر أماكن العالم ازدحامًا بالأشباح ــ كانت الأشباح مهذبة ومنظمة .. كانت أشباحًا بريطانية فعــلاً ، أما هذا ففعل أشباح (بلطجية) بلا شك.. والأسوأ أن ذوقها فى منتهى السخف.. لماذا يضع شخص عاقل خطًّا تحت عبارة مثل (الدقائق لو احتشدت لصارت ساعات) .. أو (الثقافة تمدد عمر الناس) ؟

ما علينا ..

كنت أفتش فى هذا الكتاب بحثًا عن بعض المعلومات المتعلقة بــ ...

لا داعى .. هى ليست هنا على كل حال .

اليوم نحكى قصة جديدة .. أعتقد أنها قصة جيدة .. ولا أعتقد أنك ستجد من وضع الخطوط تحت سطورها فى مكتبتك ...

القصة تتحدث عن فتاة زرقاء ..

يبدو أن الأمور صارت واضحة ويمكنك أن تكمل أنت ...

لقد صار الأمر سهلاً.. مطاردات ليلية ومقبرة فرعونية ومومياء غامضة ... أنت فهمت كل شيء .. لكن النهاية تختلف عن تلك التى رسمتها فى ذهنك ..

دعنا نبدأ ولنر ..

الجـــزء الأول

وفيـه حديث شـائق عـن الطـرق الغريبة لصـــنع المـراهـــم ، ومشـــاكل الـدروس الخصوصية ، وتكاثر الضفادع ، والمكرونة كريهة المذاق، والبيوت الريفية الغامضة التي يرتـادها رجـال بمعـاطف في شـهر مايـو .

- 1 -

منذ سن السادسة ، وهى السن التى توفى فيها أبوه ، تعلم سامح أن لفظة تسلية غير موجودة فى برنامج حياته .. ليس هناك من يملك المزاج الرائق لذلك أو يملك السعة النفسية.. لا أحد يأخذه إلى الملاهى أو السينما أو النادى مثلاً ...

إن أمه سيدة فاضلة جدًّا .. سيدة صارمة .. وهى تؤمن أن واجبها نحو طفلها يتضمن الصحة والغذاء والكساء والتعليم .. فقط .. وقد قامت بهذه المهام بكفاءة تامة ، ومن المؤكد أنها ستظهر ذات يوم ضمن صور الأم المثالية التى تنشر فى المجلات ، لكنهم لن يعهدوا لها بتقديم برامج أطفال ...

لا يتوقعن أحد منها أن تأخذ الكرة وتطوحها وتطلب من سامح أن يتصدى لها .. ولا يتوقعن أحد أن تأخذه فى نزهة على الدراجة ..

هكذا تعلم الصبى المفعم بالطاقة أن يخلق تسليته لنفسه ..

وحده ذهب للسينما ، ووحده ذهب للحدائق ، ووحده طارد القطط فى الأزقة ، ووحده ابتاع دود القز ورباه واحتفظ بالشرانق حتى فقست ديدانها ثم باع الدود ...

لقد خلق لنفسه عالمًا ثريًّا بحق ...

* * *

السابعة مساءً وقد انتهى درس العلوم ...

لهذا الوقت من العام مراسمه الخاصة .. رائحته الخاصة ..

الصيف يقترب ، وقد صار النهار قصيرًا .. تم تغيير الساعة حسب التوقيت الصيفى .. أما رائحة الجو نفسها فكارثة . رائحة حبوب اللقاح والحصاد والخصوبة .. رائحة أزهار البرتقال فى أيكة ما ..

فى الوقت ذاته يقترب ديناصور مرعب كان نائمًا منذ عام تحت المحيط ... اسم هذا الديناصور : الامتحانات ..

بهذا يجد المراهق المسكين نفسه بين مطرقة جمال الطبيعة والهرمونات الثائرة ، وبين سندان الامتحان المخيف ذى الشارب الكث والبدلة الصيفية طويلة الكمين ... ولسبب ما يرتبط هذا الجو جدًّا بأغنية شادية الجميلة (الشمس بانت من بعيد .. جايه ومعاها يوم جديد) ..

شم النسيم .. دود القـــز .. رائحة البصل والفسيخ .. البيض الملون .. عيد القيامة المجيد .. اكتشاف أن هناك أنفاقًا مظلمة فى المنهج لم تدخلها قط ، وهو ذات الوقت الذى تكتشف فيه أن

ابنة الجيران رائعة الجمال .. كيف لم تلحظ هذا طيلة الشتاء ؟ هل كانت عيناك متجمدتين ؟؟

اكتشاف آخر مهم : إن ركوب الدراجة فى الحقول المجاورة عمل رائع ..

هكذا وقد انتهى الدرس توعدهم المدرس الغليظ وهو يلوح بعصا انتزعها من مكتب قديم ، وأنذرهم أن الحصة القادمة سوف تبدأ بامتحان يتضمن كل شىء فى المنهج :

ـ « الامتحان على الأبواب .. إن هى إلا أسابيع ويبدأ كل شىء ، فلابد أنكم فرغتم من الاستذكار ولا تفعلون إلا تجويد ما تعرفون .. »

طبعًا يقع كلامه كالسم على آذان الصبية ..

بعضهم موشك على البدء .. وبعضهم لا يعرف أى شىء عن المنهج . بالتأكيد لن يقضوا الأيام الباقية على الامتحان فى الاستجمام ...

لكن الصبية هم الصبية ، ومهما كانت همومك وآلامك فإن فى الوقت متسعًا للنسيان والمرح ..

هكذا ابتعدوا عن دار المدرس وعن عينه لو خرج إلى الشرفة ..

هناك تمتد الحقول مترامية رحبة تعج بالحياة ، فالمعلم يعيش على أطراف المدينة ..

بين الصبية ثلاثة يأتون بالدراجات ، هم سامح واثنان آخران .. كان (عماد) هو الذى اقترح السباق .. وهو صبى يبدو كأنه رجل بالغ .. شاربه مكتمل تمامًا وله سالفان عملاقان ..

ــ « هذه المرة لن يكون سباقًا عاديًا ... سوف ندور حول هذه الأرض كلها .. ثم نلتقى هنا .. (ياسر) سوف يكون الحكم .. سوف يحدد أول من يصل .. »

قال سامح فى غرور :

ــ « لابد أنك لا تتعظ أبدًا .. »

ــ « فعلاً .. أحب أن يغلبنى الناس .. »

لكن هناك مشكلة هى أن جزءًا كبيرًا من الطريق تم تجريفه .. وهناك هاوية تهبط إلى منحدر عميق .. لا تنس أن هذه البقعة من الأرض مرتفعة ..

ــ « لابد من حذر بالغ .. لو انقلبت الدراجة لكانت كارثة .. »

الآن تلاشى الامتحان وتلاشى تهديد المعلم .. تلاشى الأهل وتلاشى القلق ..

لم يعد فى الكون شىء له أهمية سوى هذا السباق ..

من مكان ما رسم أحدهم خطًا بالطبشور .. هذا هو خط البدء وخط النهاية كذلك .. تقف الدراجات الثلاث فى صف واحد ، بينما يقف (ياسر) رافعًا يديه ..

ــ « الآآآآآآن !... استعداااااد ! »

ثم بطريقة درامية :

ــ « هيا ! »

وعلى الفور اندفعت الدراجات الثلاث بسرعة البرق عبر الطريق الوعر ..

ـ 2 ـ

كان (ماهر) يخاف الماء فعلاً ..

بعض الفتيات يتظاهرن بهذا لأنه يجعلهن فاتنات ، لكن بالنسبة للكيميائى ذى الثلاثين عامًا لم يكن يرغب فى أن يبدو فاتنًا .. كان يرغب فقط أن يظل حيًّا ..

جلس فى مقدمة القارب وتظاهر بأنه غير مهتم ، وإن لم يستطع فهم كيف يبقى هذا الشىء طافيًا وبأية معجزة .. إنه يتأرجح .. وفى كل لحظة يدرك أنها النهاية .. سوف ينقلب الآن ..

سأل الفتى الريفى النحيل مفتول العضلات الذى يمسك بالمجداف :

ــ « كم العمق تحتنا ؟ »

كان الفتى قد جعل ذيل جلبابه بين أسنانه ليسهل العملية على نفسه ، فصار جالسًا بسرواله الداخلى ، وقد برزت عروق عنقه كالخراطيم ، لكنه قال بصوت مكتوم :

ــ « سبعة أمتار ! »

سبعة أمتا ....

هذا يعنى طابقين .. كأنك تقف فى شرفة تطل من الطابق الثانى .. كثير جدًّا من الماء .. شىء مرعب فعلاً ...

لكن الفتى يتعامل كأنه على اليابسة .. لا مشكلة عنده على الإطلاق ، دعك من قدرته على التجديف بهذه البراعة .. وبالطبع هو لا يحترم ذعر ماهر بتاتًا .. يعتبره رجل المدينة الرقيع الثرى ..

ابتلع ماهر ريقه وحاول أن ينسى الحقيقة ..

كان هذا الفرع من النيل يقع بالضبط فى موضع شبيه بمنحدر بين جبلين .. فـوق كل جبـل غـابة كاملة متشابكة الأشجار .. لو قرر المصورون عمل نسختهم من (الأرض التى غفل عنها الزمن) فلن يجدوا مكانًا آخر للتصوير ..

عندما اتجه إلى القارب أول مرة وجد نفسه يركض بين الأشجار هابطًا برغمه فى منحدر وعر .. لا يرى أى أثر للماء ... لا يعرف إلى أين هو ذاهب ، وفجأة وجد الماء أمامه والقارب واقفًا ..

موضع ضيق جدًا .. كلما نظرت ترى الأشجار المتشابكة على بعد عشرين مترًا .. فقط كلما اقتربت تتباعد الأشجار كاشفة عن سرها المكين : ممر جديد ...

جلس ووضع أدواته جواره .. اهتز القارب بعنف ، وبعد دقيقة وصل الأستاذ صبرى الذى يعمل معه فى جهاز البيئة .. لم يكن رشيقًا ولا خفيف الحركة ، فمال القارب بزاوية 90 درجة ..

راح الفتى النوتى يصرخ :

ـ « انقل رجلك هناك !.. انقل رجلك هناك ! »

لكن هذه الأجساد القادمة من المدينة غبية دائمًا .. وقد كان (ماهر) فى حالة من العصبية جعلته يوشك على أن يقتل (صبرى) ويلقى به فى الماء بسبب غبائه ..،

حمار !.. قالها لنفسه وبصق فى الماء .. حمار !

راح ماهر يجفف عرقه . لم يكن جبانًا قط ، بل هو من أشجع من عرفهم طيلة حياته ، لكنه كان يحتفظ تجاه الماء بفوبيا شديدة .. وعلى قدر ما يعرف فالفوبيا لا تدل على الجبن ..

راح القارب يسرى ببطء وسط البحيرة ..

هناك مجموعة من غصون الأشجار تتدلى فى الماء .. لابد أنها شجرة شعر البنت التى كان يسمع عنها ، وهناك سرب صغير من البط يسبح فى فخر وشموخ ...

أخرج الكاميرا فى حذر ..

تبًّا .. كل حركة مهما كانت صغيرة تهز القارب هزًّا ...

بدأ يلتقط بعض الصور ..

ثم إنه سأل النوتى :

ـ « أين هذه المياه ؟ »

ـ « هناك يا بك .. خلف هذا المنحنى .. »

ـ « إذن الوضع لا يسوء .. »

ـ « لا يا بك .. لكنه لا يتحسن كذلك والنساء خائفات .. لا يغسلن ثيابهن هنا أبدًا .. »

فتح (ماهر) الخارطة التى رسمها بنفسه .. فعلاً هم يقتربون من النقطة ..

لا صوت سوى صوت المجداف وصوت المياه ..

وفجأة صار المشهد كابوسيًا ..

لقد توغل القارب فى منطقة ما ، وبدا كأنه يسبح وسط بحيرة من الصلصة أو الدم .. الماء أحمر تمامًا .. لا توجد نسبة زرقة بسيطة فيه ..

صفر الأستاذ صبرى غير مصدق ، بينما أخرج ماهر الكاميرا بيد مرتجفة وراح يلتقط الصور بلا توقف .

مد صبرى يده وغمرها فى الماء ، فصاح ماهر :

ـ « أحمق !... قد تكون مادة سامة أو كاوية ! »

قال صبرى وهو يفرك أصابعه :

ـ « إذن إنذارك تأخر كثيرًا جدًّا .. لكن لا تقلق .. هذه مياه لونها أحمر لا أكثر .. »

ـ « هل تتجلط على أناملك ؟ »

ـ « لا .. ليس هذا دمًا لو كان قد خطر لك .. »

لكن تلك الرائحة (الزفرة) قليلاً .. رائحة الحديد وصبغيات الدم .. عندما زار السلخانة فى طفولته كانت هذه هى رائحة المكان كله ..

بدأ يخرج الدلاء الصغيرة ..ويناولها لصبرى الذى راح ينزل كل دلو ليملأه بنحو لتر من الماء الأحمر ، بينما راح يقطع قطعًا من الشريط اللاصق ويكتب عليها (وسط البركة) .. (أطراف البركة) .. إلخ ..

وثبت قطعة ورق على كل دلو ..

ثم سأل النوتى :

ـ « تقول إن هذا حدث منذ ثلاثة أيام .. وماذا عن الأسماك ؟ »

لم يرد الفتى وأشار إلى ثلاثة أسماك من نوعية سمك القط (القراميط) طافية هناك فى وسط البحيرة .. لما دقق ماهر أدرك أن العدد كبير فعلاً .. تذكر فيلمًا قديمًا للعبقرى كاكويانس اسمه (يوم طفت الأسماك ميتة) .. كان الكلام عن تسرب نووى من قنبلة ..

سأل النوتى على سبيل التسلية :

ـ « طبعًا تتكلم القرية كلها عن الجان الذين سكنوا البحيرة .. »

قال الفتى وهو مستمر فى التجديف :

ـ « لا يا بك .. إن بلدنا مليئة بالمتعلمين .. يعتقد أهل البلدة أن هناك تلوثًا فى البيئة ..! »

نظر له ماهر مغتاظًا وعجز عن التعليق ...

ـ 3 ـ

كان المنحدر خطرًا بالفعل ..

وفى رعب أدرك سامح أن الدراجتين الأخريين سبقتاه ...

راح يحرك ساقيه كالمجنون على البدالين ، وشعر بأن قواه تتخلى عنه .. يبدو الأمر عسيرًا فعلاً .. هذا الوهن ..

يبدو أن لك قدرات لا تستطيع أن تتجاوزها ..

مد يده يتأكد من أن الكتب الدراسية التى ثبتها خلفه فى السلة فى مكان أمين ، ثم زاد من السرعة أكثر ودار حول أطراف المنحنى ..

هنا حدث ما كان يخشاه منذ البداية ..

لم تعد هناك أرض تحت العجلة الأمامية ، ووجد نفسه يطير فى المنحدر ..

يتدحرج بلا توقف ، وإن لم يتخل عن الدراجة .. وقدر وهو مستمر فى الهبوط بسرعة أن إصابته ستكون بليغة فعلاً ... وإن لم يكن فلسوف تحل بالدراجة كارثة ..

يرتطم بالأرض .. يتواثب ..

يرتطم بالأرض ..

ينقلب ..

فى النهاية رأى العالم من وضع مقلوب ..

وأدرك أن السقطة انتهت وأنه فى بطن المنحدر ..

فك أطرافه من الدراجة ونهض .. ستكون معجزة لو ظلت أطرافه سليمة .. ذراع .. ذراع أخرى .. هناك الكثير من الدم على الركبتين ، لكنه دم من جلد مقشور .. ليس خطرًا ..

تحسس أنفه فأدرك أنه ينزف ..

أخرج المنديل وضغط ليوقف النزف ... الرعاف .. كان اسمه كذا فى كتاب العلوم ، وكانوا يضغطون على الأنف ويرجعون الرأس للخلف .. ربما قطعة ثلج .. لكن أين هو ؟

الآن جاء أهم ما فى الموضوع : الدراجة ..

المعجزات ... إنها سليمة !...

الإطارات سليمة .. لم يلتوِ (الجادون) .. هذا مذهل فعلاً ..

فى النهاية استطاع أن يقف وقد شعر بأن كل عظمة فى جسده تصرخ بلحنها الخاص .. لو كسر لكانت كارثة .. كان عليه أن يفسر لأمه ، والمشكلة أن الامتحانات على الأبواب وهذا يعقد الأمور أكثر ..

بدأ يمشى وقد أسند الدراجة له .. مع تحسن الوضع استطاع أن يحصر الإصابات فيها . لم تمر السقطة على خير كما حسب للوهلة الأولى ، لكن كل هذا يمكن تصحيحه بخمسة جنيهات ... يجب أن يمر على العجلاتى قبل أن يعود للبيت إذن ...

كانت منطقة غريبة فعلاً ..

إنه فى أسفل المنحدر فى مكان غير مطروق .. إن الطريق موجود أعلاه.. وبرغم هذا هناك بيت وحيد كأنه من تلك البيوت التى توجد فى الوديان.. فقط لم يكن المنحدر عميقًا لهذا الحد بالطبع . لابد أنه تدحرج خمسة وعشرين مترًا لا أكثر بشكل مائل وليس عموديًا ..

المشكلة الآن هى التسلق لأعلى من جديد .. لابد من وجود طريق صاعد سهل ..

نظر للسماء فأدرك أن لونها صار رماديًّا .. المرحلة الأخيرة قبل زرقة الليل .. سوف يهبط الظلام خلال ساعة وعليه أن يخرج من هنا سريعًا ..

هنا استوقف نظره شىء ..

* * *

كان البيت واضحًا تمامًا لعينيه الآن .. لكنه كان متواريًا بين أعشاب عالية جعلته خفيًا تقريبًا ..

هكذا استطاع أن يرى ذلك الرجل فارع الطول الذى يلبس معطفًا أسود طويلاً ، لا يمكن أن يسمح به الجو الربيعى ..

من أين جاء ؟ .. لا توجد سيارات واقفة هنا ..

كان الرجل يتقدم فى تؤدة نحو الباب .. نظر حوله نظرة عابرة شأن من يعرف أنه لن يقابل أحدًا . ثم إنه قرع الباب عدة مرات بيد حديدية ..

من الداخل دوى صوت غمغمة .. فقال بصوت عالٍ وبلكنة شبه أجنبية :

ــ « (معات) هنا .. المجد للقادمين من أيونو ! »

هنا جاء الصوت من الداخل بنفس اللكنة :

ــ « قبلناك أخًا ! »

وانفتح الباب .. وسرعان ما غاب الرجل بالداخل ..

لم يفهم سامح بالطبع أى حرف مما يحدث.. فقط فهم الشىء الوحيد الممكن : اخرس ولا تدعهم يعرفون أنك هنا ..

ظل متواريًا حيث هو ، ولسبب ما راحت قدمه اليسرى ترتجف بلا توقف ..

من هؤلاء ؟ هل يصورون فيلمًا سينمائيًّا هنا ؟.. الناس لا يتكلمون بهذه الطريقة .. الجو كله غير حقيقى ..

نهض نصف نهوض وقد أزمع على أن يركب دراجته ويفر ، لكنه فوجئ بأن رجلاً آخر بمعطف يدنو من البوابة ويدق الباب ... ويتكرر السيناريو ...

ــ « (آهى) هنا .. المجد للقادمين من أيونو ! »

جاء الصوت من الداخل بلكنة شبه أجنبية :

ـ « قبلناك أخًا ! »

وانفتح الباب .. وغاب بالداخل ..

إذن هو أقرب إلى اجتماع سرى .. هذه كلمة السر من دون شك ..

الآن يمكنه أن يعود .. يمكنه أن يفر بسرعة قبل أن يهبط الظلام .. هذا بالطبع لو كان شخصًا طبيعيًّا يملك بعض المنطق ويقدر على التعقل ..

لكن منذ متى كان الصبيةْ فى سن سامح يملكون أية قدرة على التعقل ..؟ ضع أمام الواحد منهم إصبع ديناميت وإصبع ألوان شمع .. ما الذى سيختاره ؟.. أنت تعرف الإجابة ...

- 4 -

هكذا أخفى (سامح) الدراجة بين الأعشاب وراح يزحف ، كأنه يمثل فيلمًا يدور فى أحراش فيتنام ...

اقترب أكثر من البيت ...

نظر خلفه لأنه يعرف ما سيحدث .. سوف ينهمك فى الزحف فلا يفطن إلى أن هناك من يزحف خلفه خطوة بخطوة .. وفى اللحظة الأخيرة ينقض عليه ..

لكن ليس الخطر داهمًا . هو فى النهاية صبى مزعج .. لن ينال سوى صفعتين وركلة على الأرجح لو ضبطه أحد . لو فعلوا ما هو أكثر لدل هذا على أنهم قوم خطرون بحق ..

* * *

هناك دائمًا ذلك الرجل الغامض .. الرجل الذى يقف على قارعة الطريق ويناديك .. يقول لك إن معه ساعة جديدة تليق بك . سوف تصدق كالأبله وتذهب معه ... سوف يخطفك .. سوف يكمم فمك .. وعندما تفيق تجد أنك معلق من قدميك من السقف ..

تحتك يوجد إناء به ماء يغلى .. البخار يتصاعد .. يخنقك ..

الدهن يسيل من جسدك ويتساقط فى الإناء .. وهكذا تمر ساعات عليك وأنت تذوب ببطء ..

هكذا كانت أمه تلخص دائمًا السيناريو الذى سيحدث لدى أول تعامل مع الغرباء ، وكان لهذه المناورة هدف محدد هو الحصول على المراهم !... الدهن الذى سيسيل من جسده سوف يصير مراهم !

كان يقول لأمه فى شىء من السخرية : ألا توجد طريقة أسهل لصنع المراهم ؟.. وماذا لو فعلوا هذا مع حيوان ؟.. ما لم يكن يقدر على قوله هو أن كل عمل فى الدنيا يخضع لحساب جدوى .. حساب تكاليف .. لماذا يقتل أحدهم الصبية للحصول على مراهم هى بالتأكيد أرخص من هذا الجهد كله ؟

عندها يكون رأى أمه أنه ولد قليل الأدب وغبى كذلك .. سوف يخطفونك وسوف ترى ..

هل هذا سخيف ؟.. ربما .. لكن لو كبرت يا سامح لعرفت أن إسرائيل تبتز ألمانيا حتى اليوم بادعاء مماثل ، حول إذابة أجساد

اليهود فى المعتقلات لصنع الصابون RIF والكثيرون يصدقون هذا ..

الآن أنت تقترب جدًّا من معرفة الحقيقة ...

* * *

كان يدور حول البيت .. ينظر لبعيد كى يتأكد من أن أحدًا لا يراه ثم يواصل الدوران ..

البيت بيت عتيق من طابقين .. يبدو أن خدمات السباكة فيه سيئة جدًّا . كل النوافذ بالطابق الأرضى مغلقة بإحكام ومدعمة بقضبان حديدية ..

لكن هناك دائمًا ثغرة ما ، والثغرة التى كان يبحث عنها موجودة فى الجهة الأخرى من البيت .. هناك دورة مياه صغيرة كما هو واضح ، وهناك نافذة ضيقة مهشمة .. واضح أنها لا تغلق ..

نظر سامح حوله .. لا مفاجآت كئيبة ..

كانت هناك قطعة حجر غير ثقيلة لكنها تسمح له بأن يقف فوقها . جرها بكثير من الجهد إلى ما تحت النافذة ، ثم صعد

عليها .. مد ذراعيه يحاول ألا يقع .. إن جسده يؤلمه فعلاً .. لن يتحمل سقطة أخرى ..

أطبق قبضتيه على إطار النافذة وتسلق بصعوبة ..

الفتحة ضيقة ، لذا تخيل أنه فأر .. هذا يعطى جسدك مرونة غير عادية .. سرعان ما استطاع أن ينزلق إلى الداخل ..

بالطبع لم يكن بارعًا لذا كاد يسقط برأسه فى دورة المياه ، واستطاع أن يستعيد توازنه بصعوبة . لحسن الحظ لم تكن دورة المياه مستعملة على الإطلاق .. المرحاض جاف ملوث بالغبار وبلا نقطة ماء . المكان كله جاف مترب تمامًا ..

هيا يا بنى .. لقد رأيت ما يكفيك ..

العودة ستكون صعبة فعلاً لأن الخروج من هذه النافذة أعقد من الدخول ..

لكنه كان شبه منوم .. قدماه تتحركان بإرادة خاصة بهما ، وقد قررت القدمان أن تمشيا فى الردهة خارج دورة المياه ..

فر فأر من فوق قدميه .. فأجفل ..

هناك ردهة شبه مظلمة فعلاً .. لكن الضوء الخافت المزرق يدخلها من أبواب جانبية مواربة ..

مشى بضع خطوات هناك ..

وفى النهاية وجد بابًا مواربًا إلى يمينه فدخله ..

كل شىء بدا مألوفًا برغم الإضاءة الخافتة الواهنة .. نفس المنظر رآه مرارًا فى المتحف المصرى ... توابيت .. توابيت فرعونية فى صناديق خشبية مكومة فى إهمال .. أسلوب المخازن المعروف .. هناك ما لا يقل عن سبعة توابيت هنا ..

بيت فى مكان منعزل .. قبو .. توابيت ... ماذا ينقصنا ؟

القصة واضحة تمامًا ... وإن كانوا أغبياء بالتأكيد.. يتصرفون بشعور زائف بالثقة ، لذا نسوا هذه النافذة التى دخل منها ، وعلى كل حال يفترض المرء دومًا أن خصمه كبير الحجم وليس فى حجم الفأر مثل سامح ..

كانت هناك علامة تتكرر على كل التوابيت الخشبية .. تشبه شكل قطع ناقص بداخله نقوش فرعونية .. هذا مشهد مألوف.. لو كان أكبر قليلاً لعرف أنها (خرطوشة) من التى يدونون

عليها أسماء الملوك .. كانت العلامة مرسومة بالطلاء الأسود وبيد معاصرة .. مجرد تعريف بمحتوى التابوت ..

شعر بأنه يريد الاحتفاظ بشىء من هذا كله . مد يده إلى الخشب الهش الشبيه بالخشب الحبيبى وراح يجاهد لينزع قطعة كاملة .. هناك أجزاء بين العروق وبعضها يسهل انتزاعها .. قطعة نقش عليها هذا الرمز بوضوح .. ها هو ذا !.. ضعه فى جيبك بسرعة ..

ولكن هل هناك شىء فى هذه التوابيت ؟

للمرة الأولى يفكر فى هذا الاحتمال المرعب . جثث محنطة شاخصة البصر ترقد هنا.. على بعد سنتيمترات منه وفى هذه الإضاءة الخافتة وهو وحده تمامًا ..

بالطبع هذه الجثث غضبى لأن هناك من أقلق منامها .. أقلقه لأول مرة منذ آلاف السنين .. تصور مثلاً أن غطاء تابوت انفتح وبرز رأس محنط متحلل ليقول شيئًا !..

ثم .. لعنة الفراعنة ...!

لقد قرأ عنها فى إحدى المجلات ، فهل هى حقيقية ؟

* * *

الضوء فى نهاية الردهة .. الباب العملاق المخيف ..

كل شىء يدل على أن هذه هى الغرفة ..

غرفة ماذا ؟.. إن من جاءوا من الخارج يجتمعون هنا .. وعلى الأرجح هم لم يصعدوا للطابق الثانى .. إنهم فى غرفة ما هنا.. وعلى الأرجح هى هذه ....

غرفة مغلقة تمامًا والردهة مظلمة لكن الضوء يخرج من تحت الباب ومن جوانبه .. ذلك التأثير المخيف الذى يعرفه هواة أفلام الرعب ..

كل شىء فى الكون يقول له أن يفر ..

الآن ....

لكن كما قلت لك كان الانبهار يسيطر عليه ، مع فضول كاسح يفوق أى خوف فى العالم .. كانت قدماه تتحركان برغمه وبإرادتهما الكاملة ..

لا يعرف كيف وجد نفسه يزحف ليقف إلى جوار الباب ويأخذ شهيقًا عميقًا ...

أنا صبى .. طفـل صبى .. سوف يصفعوننى ويلقون بى فى الخارج .. لا شىء أكثر من هذا .. اهدأ قليلاً.. كف عن الرجفة وإلا سمعوا صوت ركبتيك ..

من الداخل يأتى صوت مبهم ..

لا .. ليس مبهمًا .. بل هو يتكلم بلغة غريبة .. لا شك فى هذا ..

ثم دوى صوت بالعربية ذات المذاق الأجنبى يقول :

ـ « حفـات ماعت ... أمرتكم ألا تستخدموا هذه اللغة !.. استعملوا لغة هؤلاء القوم ! »

ومن موضع ما جاء صوت يقول :

ـ « الحقيقة تقترب .. المجد للقادمين من أيونو ! »

ثم الأول يسأل :

ـ « هل اكتمل عدد الأخوة ؟.. الكل بالداخل ؟ »

ـ « نعم .. ونحن ننتظره ... »

ـ « إذن فلنطلق الكلاب !! »

كلاب ؟؟؟؟

ـ 5 ـ

من جديد أعاد ماهر ضبط عدسة المجهر ، ثم وجه المرآة المستديرة الصغيرة نحو النور لتعكس له صورة أفضل . قرب عينه من العدسة وراح يحاول فهم شيء من هذه الصورة ..

كان يجلس هناك على مقعد متداعٍ ، وأمامه منضدة متداعية فى تلك الأرض المحروثة .. تذكر على الفور المراقبين الصحيين الذين يحللون البول والبراز فى الحقل .. منظره لا يختلف كثيرًا ...

رشف رشفة من كوب الشاى .. شاى الريف القوى الذى ينعش الحواس كما لا ينعشها شيء .. وقال لصبرى :

ـ « هذا ليس دمًا .. لا خلايا من أى نوع ولا يتجلط .. إنه لون أحمر يحتاج إلى تحليل كيميائى مدقق .. »

ثم أضاف فى احتياط :

ـ « تذكر أننى كيميائى .. لست طبيب تحاليل .. »

قال صبرى وهو يرشف رشفة قوية من الشاى :

ـ « لا توجد مصانع هنا .. هل تعتقد أن أحدهم تخلص من حمولة كيميائية ما ؟ »

ـ « سوف نعرف .. على كل.. هذه الحمولة تقتل الأسماك .. »

كان الجالسون من حولهم هم د. مينا طبيب الوحدة الصحية ، والحاج (عبد المستجير) وهو شخص ما .. بالتأكيد هو شخص ما .. ليس العمدة لكنه أحد قيادات القرية من ذوى الأهمية.. شاربه الغليظ وعباءته وعصاه يؤكدون أنه مهم جدًّا .. وكان هناك الفتى النوتى النحيل .. بالنسبة لأهالى القرية فإن (ماهر) و(صبرى) يمثلان الحكومة .. يتعاملون معهما بنوع من الشك والاحترام والحرص والمقت.. منذ أيام أحمس لا تجلب الحكومة سوى المتاعب ..

قال الحاج (عبد المستجير) :

ـ « لكن هذه المياه تشبه الدم فعلاً .. والعياذ بالله .. »

قال ماهر وهو يعد شريحة أخرى :

ـ « ما أكثر الأشياء الشبيهة بالدم .. هل أكلت قطعة من البنجر من قبل ؟.. يمكنك أن تقسم بعدها عندما تجد أن مياه

المرحاض حمراء تمامًا أن هناك نزفًا فى أحشائك ... لو التهمت بعض السبانخ لبدا البراز كأنه دم مهضوم .. »

هنا قال د. مينا :

ـ « لابد من تفسير كيميائى واضح لهذه الظاهرة وظاهرة الضفادع ! »

هنا توقف ماهر عما يقوم به ورفع حاجبيه فى دهشة :

ـ « عم تتكلم ؟ »

ـ « الضفادع .. »

ـ « ليست لدى أدنى فكرة عن الموضوع ! »

قال الحاج (عبد المستجير) وهو يسند ذقنه على مقبض العصا :

ـ « أبلغنا وزارة الزراعة بالأمر .. حسبنا أنكما جئتما لهذا السبب .. »

ـ « هل هذه القرية تربى الضفادع وقد بدأ إنتاجها يقل ؟.. »

ضحك الحاج فى مرارة ورشف رشفة من الشاى وقال :

ـ « بل هى تتزايد .. »

ـ « تتزايد ؟ »

ـ « لو جئتما معنا إلى الساقية لرأيتما .. »

* * *

المشهد كان لا يصدق فعلاً ..

عندما تراه من بعيد يخيل لك أن هذا (زلط) مكوم بكميات هائلة .. نفس ما تراه أمام أية بناية يتم تشييدها . ثم تدنو أكثر فتدرك أن الساقية والمجرى المائى جوارها مسكونة بأشياء صغيرة تتحرك .. تدنو أكثر فتراها تتقافز ...

ضفادع .. ضفادع .. مئات منها .. بل آلاف ...

كان الربيع على الأبواب لذا كانت الذكور تصدر نقيقها المميز ، وكانت تجثم فوق بعضها البعض فلا تترك موضعًا يسمح بالحركة أو التنفس .. هناك جبال صغيرة منها بلا مبالغة ..

كلما حسبت أن هذه البقعة عبارة عن أرض صالحة للمشى ، اكتشفت انها أكوام من الضفادع .. الأرض التى تتحرك بشعة دائمًا ...

أما عن الصبية فحدث بلا تحفظ .. لقد كان هذا يومهم ..

كان هناك حشد من الصبية يلعبون بالضفادع لعبًا .. يقذفونها لبعضهم ويملئون بها ثيابهم .. ويجرون وراء بعضهم بها ، وكان واضحًا أن الكبار لا يعترضون على هذه التصرفات بل ويشجعونها ..

وكانت هناك مجموعات من النسوة يملأن بالضفادع (الغلقان) ثم يحملنها ، بينما رجل مثل مقاولى الأنفار يصدر تعليماته وهو يلوح بعصا :

ـ « همتك يا بت منك لها ! »

كن يركضن نحو حفرة عميقة على بعد مئة متر ، فيفرغن (الغلقان) فيها ويعدن ... بينما كان فلاحان يردمان هذه الحفرة ..

بدت الميتة بشعة فى نظر ماهر ، لكن ما الحل ؟.. كيف يمكن الخلاص من هذه البرمائيات ؟... إنه خطر بيولوجى داهم لا شك فيه ..

صيحة غراب ...

التفت للخلف فرأى أن غرابين اكتشفا كنز اللحم هذا .. لا بأس .. فيأت آخرون فلن ينجحوا إلا فى تخفيف الكارثة نوعًا ..

قال الحاج (عبد المستجير) :

ــ « لا تتوقف النسوة عن ردم الضفادع.. لكنها لا تكف عن الظهور .. أعداد جديدة فى كل لحظة ولا نعرف من أين جاءت .. »

لو كنا فى بلد يأكل الضفادع لصار هذا مصدر ثراء لأكثر من مطعم ...

ــ « إنها صالحة للتسميد على كل حال .. »

ــ « لكن لماذا ؟.. ماذا أصاب هذه القرية ؟ .. »

هنا فقط أدرك ماهر أن الأمر أكبر منه .. لابد من الاتصال بوزارة الزراعة فورًا .. لابد من تدخل الدولة وطبعًا استدعاء فريق من الخبراء .. لا يمكن أصلاً إبادة هذه الضفادع إلا بمادة سامة ..

إنه ليس قليل الخبرة . لقد رأى الكثير وسافر للخارج مرارًا .. لكنه لم ير شيئًا كهذا من قبل ..

حتى وهو واقف كانت الكائنات التعسة تتزاحم حول حذائه وتتواثب من حوله .. كانت تزحف عليه.. لو كانت الضفادع تتسلق لصعدت إلى سراويله ..

ركل ثلاثة ضفادع تزاحمت حول حذائه وهو يفكر بعمق ..

قال طبيب الوحدة :

ـ « ليس هذا هو المكان الوحيد .. هناك أكثر من موضع فى البلدة يشهد الظاهرة ذاتها .. والأغرب أن هذه الضفادع تعيش فى المياه الحمراء التى فتكت بالأسماك .. »

هذه نقطة غريبة أخرى .. لو كان هناك تسمم كيميائى لقتل كل كائن حى ..

فيما بعد رأى فيلم (الفك المفترس) .. خصوصًا اللقطة الشهيرة (نحتاج إلى قارب أكبر) . كان هذا هو موقفه بالضبط فى هذه اللحظة ، وهو يقف زائغ العينين ينظر حوله فى بلاهة ويبلل شفتيه بلسانه مرددًا :

ـ « نحتاج إلى آخرين .. نحتاج إلى آخرين ...! »

- 5 -

الآن لم يعد هناك مجال للفضول أو الاستزادة من المعلومات ..

انطلق (سامح) كالسهم عبر الممر المظلم .. تبًا .. هل كان بهذا الطول أول مرة ؟

على اليمين ... دورة المياه كانت على اليمين ..

أخطأ مرتين ، إلى أن وجـد الباب الذى عبر منه أول مرة .. *« الدهن يسيل من جسدك ويتساقط فى الإناء .. »*

صعد فوق المرحاض وراح يقدر الطريقة التى يجب أن يعبر بها هذه النافذة الضيقة .. لا يريد أن ينحشر صدره فى لحظة كهذه ..

فى النهاية دس جسده فى الفتحة وتدلى إلى الخارج .. ثم انقلب ليسقط خارج النافذة على الأرض ...

إنه فى العراء على الأقل .. لقد غادر بيت الدببة المتوحشة .. الليل قد حل فعلاً لكن الرؤية واضحة ..

نهض واندفع يركض مبتعدًا .. دراجته وسط الأعشاب على الجانب الآخر عند مدخل البيت الرئيس .. قلبه يتواثب كالطبل ، لكنه صبى وحالة قلبه ممتازة .. لو كان أكبر سنًّا لهلك من الانفعال ..

هنا سمع الصوت الذى يخشاه .

هاو هاو هاو !

هناك كلاب فعلاً وقد أطلق سراحها !

أين هى ؟.. لماذا لا يراها ؟ هل هى مربوطة يقودها مدرب شيطانى أم هى حرة طليقة ؟..

انطلق يركض نحو الجهة الأخرى من البناية ، وعندما بلغ الأعشاب راح يركض بحثًا عن الدراجة ..

هاو هاو هاو !

« تحتك يوجد إناء به ماء يغلى .. البخار يتصاعد .. يخنقك .. »

« وهكذا تمر ساعات عليك وأنت تذوب ببطء .. »

وجد الدراجة أخيرًا فأوقفها ووضع قدميه على البدالين كأنه يتعلم ركوب الدراجة لأول مرة ..

هاو هاو هاو !

الصوت يتعالى أكثر .. إن الكلاب قريبة جدًّا ..

لا تنظر للخلف .. انطلق ... بالله عليك انطلق ..

هكذا انطلق بسرعة البرق.. وسمع من يتكلم من خلفه وسمع صوت الكلاب ، لكنه كان قد تحول إلى نوع من الشهب .. لا توجد قوة أرضية قادرة على الإمساك به ..

ابتعد عن البيت جدًّا ..

هنا وجد أن هناك طريقًا صاعدًا .. سوف يعود به إلى عالم الأحياء بالتأكيد ..

كان الصعود مرهقًا بالدراجة لكنه راح يحث عضلات ساقيه على الاستجابة .. وبعد دقائق أدرك أن الأرض ممهدة وأنه صار بالفعل فى مستوى أعلى مما كان فيه .. يمكنه أن يرى المعالم المألوفة للعالم الذى كان فيه ... هذا الشارع الذى يوجد فيه بيت المعلم .. هنا بدأ السباق ..

انطلق نحو علامات الطبشور التى رسموها منذ ساعة.. بل ساعتين ..

هنا لايدرى من أين ظهرت الدراجتان الأخريان ..

وسمع (عماد) يطلق سبة :

ــ « أين كنت أيها الــ .... ؟... لقد بحثنا عنك .. لم نجرؤ على العودة من دونك .. »

هتف لاهثًا :

ــ « الآخرون ؟ »

ــ « عادوا لبيوتهم طبعًا .. »

تساءل صاحبه الآخر :

ــ « ماذا حدث لك ؟.. كل هذه الكدمات .. وشاحب مثل ... »

هتف سامح بلهجة آمرة لا تقبل المناقشة :

ــ « فلنعد بأسرع ما يمكن .. انطلقوا كالبرق .. ربما أشرح لكم كل شىء فيما بعد ... »

وعلى الفور انطلقت الدراجات الثلاث تحت جنح الظلام ، لا تهتدى إلا بنور خافت من مصابيح الطريق ..

لم يفهم الصديقان المشكلة ، لكن ذعر سامح كان رسالة بليغة جدًا تنهاك عن الأسئلة .. هناك كارثة وكفى ... وقدر الصبيان أن الأمر يتعلق بتحطيم زجاج أو الارتطام بسيدة مسنة .. شىء من هذا القبيل.. هذا سبب مناسب جدًا للإسراع ..

ولهذا السبب لم يوجها أسئلة أخرى عندما بلغ سامح بداية الشارع الذى يقود لبيته ..

لوح لهما بيده فلوحا له مودعين ..

سيكون على كل منهم أن يفسر لأهله سبب كل هذا التأخير ..

* * *

كان سامح عندما عاد لداره يتصرف بالضبط كالزوج الذى أمضى ليلة صاخبة مع رفاقه ثم عاد للبيت متسللاً.. لولا الغرابة لنزع الحذاء ليدخل حافى القدمين ..

لقد فتح باب الشقة وكان صوت أخته تتكلم مع أمه فى المطبخ .. لم يلحق بهما بل هرع إلى حجرته الصغيرة وبدل ثيابه بسرعة ..

ثم هرعَ إلى الحمام وقدر أن هذا يمنحه بعض دقائق أخرى حتى يعود لوجهه لونه الطبيعى ..

السبانخ .. للمرة الأخيرة هذا العام فقد رحل الشتاء ..

رائحتها الزكية تفعم الشقة ، وصوت الأطباق توضع على المنضدة ....

كان ما زال فى الحمام .. نظر لنفسه فى المرآة .. طالعه وجه المراهق الذى بدأ الزغب ينمو على شفته العليا وامتلأ جبينه بالحبوب .. كان مذعورًا كأن الشيطان يطارده ..

هلم يا بنى ..

عليك أن تتماسك وتصمت ..

ربما كان ما رأيته مهمًا ، لكنك ارتكبت جملة من الأخطاء ... لديك ما يكفى من مشاكل فلا حاجة لأن تقحم أحدًا فى القصة ...

ـ 6 ـ

صبت الأم السبانخ فى طبقه ، فعقد أنامله تحت ذقنه يراقب البخار ..

هناك طبق من الأرز وقطعة لحم صغيرة تناسب دخل الأسرة ، ولا تتوافر يوميًا طبعًا .. هناك بخار كثير جدًا ..

لابد أن هذه البقرة مخطوفة وهناك من يريد صنع المرهم من دهنها .. كانت التجربة قد هزت أعصابه فعلاً ، وأدهشه أن قدرته على التمثيل ليست لا نهائية كما كان يحسب .. كان يحسب نفسه أبرع من هذا لكنه مجرد طفل برىء آخر ..

لا يستطيع أن يأكل أو يتظاهر بذلك ..

كانت (ريهام) أخته تواصل سرد القصة لأمه ، وهى تقلب الخضر مع الأرز فى طبقها :

ــ « قلت لها إنها كذابة .. قالت لى لا أسمح لك بهذا .. فقلت لها إن ما يسمح لها بالكذب الصريح يسمح لى بأن أتهمها بالكذب .. تزعم أنها لم تقابل خطيبها بينما أنا رأيت كل شىء و.... »

ثم توقفت ونظرت له :

ــ « ألا تأكل ؟ »

هز رأسه فى حرج ورفع الملعقة التى تحتوى جرامًا أو أقل من الخضر ودسها بين شفتيه ..

كانت (ريهام) طالبة فى كلية الآثار ، وبالتالى هى تكبره بعدد من السنوات .. حاليًا صارت هى رفيقة درب أمها وربما زوجها كذلك .. علاقة معروفة جــدًّا بين الأم وابنتها عندما تتحولان إلى صديقتين متفاهمتين تمامًا . عندما تمشيان معًا يخيل لك أنهما شىء واحد .. فقط واحدة تمثل شكل الأخرى بعد عشرين عامًا .. ريهام تعرف كل الأسرار وميزانية البيت ، وتقوم بكل الأعمال المستحيلة مثل الشجار مع شبكة الكهرباء ، والشجار مع إدارة المعاشات وحجز الدروس الخصوصية لأخيها ..

كانت جميلة فعلاً .. على الأقل كان يراها كذلك . يمكن أن يتخذها أى فنان نموذجًا للحوريات .. وكانت قادرة على حمايته والزود عنه ..

من جديد قالت الأم :

ــ « سامح .. ألا تأكل ؟ »

قالت ريهام وهى تتأمل أخاها الشارد :

ــ « دعيه .. دعيه يا أماه .. إنه يشعر بالخجل لتأخره كل هذا الوقت .. لسبب ما ينسى أننا فى نهاية العام ، وأنه لا يملك كل الوقت فى العالم .. »

لم يرد وحاول بضمير مخلص أن يأكل شيئًا ..

لما انتهى الغداء ، قام بعمل يندر أن يقوم به ؛ هو أنه اتجه للشرفة وراح يرمق الشارع .. هذه النزعة التأملية الرومانسية تعنى كارثة عندما يمارسها صبى صاخب مثله .

هنا فقط أدركت الأم أن الأمر ليس طبيعيًّا ..

قالت لريهام إنها قلقة .. وريهام كذلك شعرت بعدم راحة ..

ــ « لا تتدخلى أنت من فضلك .. »

قالتها لأمها .. فهى تعرف أن أمها ستدخل الشرفة لتزجره وتتهمه بكل شىء ممكن ، ثم تقسم أنه يدخن أو هو متعلق بفتاة مائعة ممن يسمعن أغانى (هانى شاكر) .. إلخ .. سوف تزيد الأمر سوءًا ..

دخلت ريهام ووقفت جوار أخيها يرمقان الظلام .. وبدأت تستنطقه ببطء ..

هكذا حكى لها مغامرة الليلة المؤسفة ..

* * *

راحت تتأمل الخرطوشة المرسومة على قطعة الخشب فى اهتمام ..

لا تعرف كيف تقرأ ... لكن بالتأكيد تعرف من يستطيع ذلك ...

قالت له وهى تلف قطعة الخشب فى كيس من النايلون حتى لا يتلف النقش :

ـ « لو لم يكن هناك جزء من التأليف فى قصتك هذه فهى قصة مرعبة .. »

قال فى إرهاق والهالات السوداء تتسع تحت عينيه :

ـ « بالتأكيد لا أرغب فى التأليف الآن .. »

ثم سألها فى قلق :

ـ « ما رأيك ؟.. هم لصوص آثار . أليس كذلك ؟ »

قالت فى شرود :

ـ « لصوص آثار يتكلمون بهذه الطريقة ويقولون (المجد للقادمين من أيونو) ؟.. هذا غريب نوعًا .. ثم ماذا يفعله لصوص الآثار فى ضواحى القاهرة ؟ »

ثم راحت تلتهم أطراف خصلات شعرها كعادتها كلما فكرت .. وقالت :

ـ « سأجد تفسيرًا .. أما أنت فقد انتهى دورك فى القصة .. لا تنس أن الامتحانات على الأبواب وأنك أضعت وقتًا ثمينًا .. »

قال فى صدق :

ـ « أرجو ألا يضيع أكثر .. »

جلست تفـكر بعض الوقت ... فعـلاً هى ميالة إلى أن تغلق الباب على القصة .. لا مزيد من الأسئلة بعد هذا .. لكنها بحاجة فعلاً إلى أن تسمع رأى أحدهم عن هذه الخرطوشة . لماذا تشعر بهذا الشعور الغريب كلما لمستها ؟ ..

ونظرت للوراء من فوق كتفها . هنا رأت أن (سامح) يمسك بسماعة الهاتف ويثرثر .. وقد فتح محتويات حقيبته المدرسية فبعثرها على المنضدة :

استبد بها الغضب فقالت له :

ـ « ما زلت تضيع الوقت بعد كل ما ضاع ؟ »

قال وهو يسد السماعة :

ـ « كتاب العلوم ليس معى ... ربما كان مع ياسر ... »

ـ « إذن .. انته بسرعة .. »

وانصرفت وهى شاردة الذهن .. اقترب امتحانى أنا أيضًا لكنى أنصح (سامح) بلا توقف .. لا يلاحظ أحد أننى أضيع الكثير جدًّا من الوقت ..

الحقيقة التى لا تكف عن مداراتها هى أنها تحب .. تحب جدًّا .. تحترق .. وعندما يحب المرء جدًّا أو يحترق ، فإن الاستذكار يصير وهمًا .. دعك بالطبع من هذا الجو اللعين الهرمونى الذى تخشاه .. لقد انطلقت أسراب الحيتان ونزلت الفُقْمَة إلى المياه الدافئة ، وأعلن الكون صرخته : إننى أحيا ! تكاثروا ...!

لكن عليها أن تقاوم وأن تدفن نفسها فى الكتب .. هذا قاسٍ فعلاً ..

موضـــوع حبهـــا كذلك غريب .. إنه يكبرها فى السن عدة سنوات . إنه يعرج بسبب حادث أصاب ساقه اليسرى .. إنه مسيحى وهى مسلمة .. إنه متزوج .. عوائق بسيطة جدًّا بالنسبة لها كما ترى . لا ينقصها إلا أن يكون مصنوعًا من حجر بحيث يستحيل أن تتزوج منه أبدًا ...

كان أستاذًا فى الكلية ، ويشغل عدة مناصب فى الوزارة .. إنه من أهم الأسماء التى تذكر كلما جاءت سيرة الآثار .. وهى طالبة ..

لهذا قد وجدت حجة ممتازة لزيارة مكتبه غدًا ..

ـ 7 ـ

ـ « أدخــل .. »

قالها د. (رمزى حبيب) عندما سمع الدقة على الباب ..

كان يدون بعض الملاحظات بصدد محاضرته التالية ، وقد فتح عدة مراجع مما أحال المكان إلى فوضى .. ولابد أنه أوقع قدح القهوة على مرجع ما لأن المناديل الورقية كانت فى كل مكان .. حياته مع العكاز كذلك جعلت كل شىء أعقد ..

إنها تلك الجلطة اللعينة التى قضت على عضلات الساق ، وهو بطبعه رجل نشيط يحب أن يعمل ألف شىء فى وقت واحد ..

فيما عدا هذا كان يتمتع بظرف وحيوية لا مثيل لهما . دعك من أن مشيته بالعكاز كانت تضفى عليه عظمة غريبة .. لا أعرف السبب لكن هناك نوعًا أرستقراطيًّا من العرج ، كما أن هناك نوعًا فاتنًا من الحول لدى الفتيات ..

كانت ريهام قد قررت أن هذا هو الرجل المناسب لها ، وكان هذا قرارًا سريًّا لا يعرفه سواها .. أما عن تبعات هذا القرار فلا وجود لها .. عدم تكافؤ من ناحية السن والدرجة العلمية

والحالة الاجتماعية والدين .. أى أنها لو كانت غارقة فى حب إلفيس بريسلى لما اختلف الوضع عن هذا !

على كل حال كان وجوده يضيف دفئًا لحياتها .. إنها تنتمى له بشكل ما .. هنا مركز اهتمامها وأحلامها . ثم إنه يمنحها مادة لا تنتهى للعذاب فى البيت .. زوجته التى لم ترها هى (المرأة الأخرى) .. وهى تقنع نفسها طيلة الوقت أنه لن يجد مثلها أبدًا .. إلخ ..

من قال إن سن التاسعة عشرة بعيدة عن المراهقة ؟

لما رآها بش وجهه وقال :

ـ « طالبتى المجدة .. ليس من المعتاد أن نراك فى هذا الوقت من العام . أخشى كذلك أن أقول إننى مشغول جدًا .. »

دخلت أكثر حتى وقفت أمامه ومدت يدها فى جيبها لتخرج قطعة الخشب :

ـ « لنقل إنها استشارة فى المنهج .. »

أمسك بقطعة الخشب وقربها من أنفه .. وقال :

ــ « أشعر كأنني مثمن قضائى .. من أين جئت بها ؟ »

ثم تصلب وأعاد النظر للكتابة .. وهذه المرة تبدل وجهه ..

ــ « من أين جئت بها ؟ »

ــ « أفضل عدم ذكر ذلك يا سيدى .. »

شعر بالرجفة تعود لذراعه .الرجفة التى تعاوده كلما جاء ذكر تلك القصة .. لا ينكر أن فيها جوًّا مقبضًا خاصًّا ..

ــ « هل هناك الكثير منها ؟.. الموضوع مهم جدًّا .. »

قالت فى غموض :

ــ « ما أعرفه هــو أن هــذا الشــعار على عدة صناديق فى مكان ما .. »

اعتدل فى جلسته ووضع قطعة الخشب على المكتب وقال :

ــ « أنا بحاجة لبعض الوقت كى أتأكد من أن هذا ما أعتقده .. لنبق على اتصال يا ريهام .. عودى لى بعد غد .. سأعطيك إجابة كاملة .. »

هزت رأسها باسمة وانصرفت ..

كان عقلها وقلبها عامرين بالأحلام ، فقد تزودت بزاد هائل من صوته ولفتاته ونظرات عينيه .. سوف تحلم كثيرًا الليلة .. لكنه كان فى مشكلة .. كان عقله عامرًا بعلامات الاستفهام ..

لو صدق حدسه فهذا أهم كشف أثرى يقع عليه طيلة حياته ..

هناك من يجب أن يعرف بهذه القصة ..

* * *

هكذا يمكنك أن تفهم لماذا اتصل بى د. (رمزى حبيب) فى الثامنة مساءً ..

سألته عن صحته وعن مارى زوجته فلم يبد مهتمًا بالرد .. فقط دعانى إلى بيته بعد ساعة .. قال إن لديه أشياء مهمة يجب أن يخبرنى بها ..

كنت منهمكًا فى إعـداد طعام الغـداء .. لا تسأل عن سبب إعدادى الغداء فى الثامنة مساءً فقد تجاوزنا زمن هذه الأسئلة .. كنت أعد بعض المكرونة كالعادة . ولا تسأل عن رائحة الطعام الكريهة التى تملأ المكان ، فهذا أفضل ما يمكننى أن أقوم به .. وعلى من يرغب فى انتقادى أن يتطوع هو بالطهى لى ..

قلت له :

ــ « أنا جائع فعلاً .. والقدوم لبيتك يعنى تدمير كل خططى ، لأن الطعام الذى سأطبخه يعنى غداء اليوم وغداء الغد "

قال فى نفاد صبر :

ــ « سـوف أطعمـك أنا .. لدينا بقايا طعام من الغداء على ما أذكر .. »

قلت له فى صبر :

ــ « اسمع .. بصراحة لا أجد لقدومى أهمية.. المشكلة إما تتعلق بالآثار ، وهذا يعنى أنه لا قيمة لى .. وإما تتعلق بظاهرة ميتافيزيقية .. وهذا يعنى أنه لا أهمية لك . ما الموضوع الذى يمكن أن يجمعنا معًا ؟ »

قال قبل أن يضع السماعة :

ــ « قضية آثار ميتافيزيقية يا أحمق .. أنا بانتظارك ! »

* * *

جاءت مدام مارى فحيتنى ثم وضعت على المائدة صينية كبيرة بها قطع لحم مطهوة بالصلصة والثوم يمكنك أن تشبع لشم رائحتها ، ثم عادت بعد دقائق بحشد من الأطباق .. لو كان هذا هو المتبقى من غدائهما فعلاً فهما من الديناصورات..

ـ « كل .. كل .. سوف أؤجل الكلام إلى أن تفرغ .. »

قررت أن آكل بعنف .. بشراسة .. لو كان هناك من يراقبنى ويعتبرنى غير متحضر فتلك مشكلته . ظل يراقبنى بعض الوقت وقد بدأ الأمر يروق له .. غريب أن ترى رجلاً نحيلاً يأكل بشهية كل هذه الكميات.. فى النهاية قال :

ـ « أرجو ألا يثقل مخك أو تصاب بحالة من الغباء بعد كل هذا ... »

ـ « اسمها (ظاهرة التهبيط dumping) .. لكن لا تخش شيئًا .. أنا متنبه .. ما موضوع تلك المومياء الوقحة التى تمشى فى المتحف ليلاً ؟ »

قال باسمًا :

ـ « اطمئن .. لا توجد مومياوات وقحة هذه المرة .. لقد اعتدنا هذه الأمور ولم تعد تحرك فىَّ ساكنًا .. الموضوع يتعلق بمقبرة منسية .. مقبرة لا نعرف عنها شيئًا ولم يعد أحد يتكلم عنها ، وفجأة أرى أثرًا لابد أنه جاء منها .. »

ـ « وما الغريب فى هذا ؟.. من تخص هذه المقبرة ؟ »

قال وهو يتحاشى نظراتى :

ـ « هذه هى المشكلة .. لا أحد يعرف فعلاً ما الموجود فى هذه المقبرة ! »

- 8 -

هذه المرة هو درس رياضيات ..

كان سامح يركب دراجتـــه عائدًا من بيت المدرس .. كانت الدروس الخصوصية تلتهم جزءًا لا بأس به من ميزانية البيت ، دعك من أنها لم تكن قد انتشرت وتوغلت فى ذلك الوقت ، حتى أن الطلبة فى المدارس كانوا يخفون الأمر عن بعضهم ويعتبرونه مخجلاً نوعًا .. لكن (سامح) برهن عن عجز تام عن التحصيل معتمدًا على المدرسة وحدها .. إنه لا يدرس إلا فى أوقات فراغه من كل ما يشغله . إنه الصبى التقليدى (اللعبى) الذى يحتاج لمعلم يطبق أصابعه الغليظة على خناقه ..

كانت الدراجة تمنح (سامح) القدرة على التواجد فى كل مكان فى كل وقت .. وبالفعل لم يعد قادرًا على الاستغناء عنها ..

كان يقود الدراجة فى عرض الطريق وهو يتمايل ذات اليمين واليسار أو يقف منتصبًا كعادة الصبية ، فلو كان يقود سيارته الفيرارى لما كان فخورًا بهذا القدر ..

هنا سمع صوت هدير سيارة قادمة من الخلف ، وأدرك من ارتفاع الصوت أنها مسرعة ..

هكذا انتحى جانبًا ليسمح لها بالمرور ..

كالبرق اندفعت السيارة جواره ، والغبار الذى تطاير منها كاد يعميه .. كانت لصـيقة جـدًّا لدرجـة أنه وثب على الرصيف بدراجته وأطلق سبة :

ـ « يا لك من حمار ! »

هنا أطلقت السيارة ذلك العواء الطويل لعجلات تقاوم الفرملة ، ثم دارت مائة وثمانين درجة واندفعت نحوه ..

ـ « إذن نحن نتكلم بلغة مختلفة ! »

واندفع بالدراجة والسيارة من خلفه ..

لقد فهم على الفور أن هذه السيارة تريد الفتك به أو إسقاطه عن الدراجة ليسهل الإمساك به .. يعلم الله وحده السبب ..

تذكر فيلمًا رآه فى التلفزيون لدبابة تطارد سيارة .. كان ما قام به راكب السيارة هو أن اقتحم الغابة واندفع بين أشجارها ،

عالمًا أن الدبابة لا تجرؤ على اقتحام الغابة لأن الأشجار تعوق مدفعها ..

هكذا بحث عن غابته الخاصة .. زقاق ضيق مظلم برغم أننا فى الصباح..

اندفع بالدراجة داخله وسمع السيارة تعوى من خلفه .. لكنها لن تستطيع الدخول طبعًا ...

« تحتك يوجد إناء به ماء يغلى .. البخار يتصاعد .. يخنقك .. »

« وهكذا تمر ساعات عليك وأنت تذوب ببطء .. »

ابتسم مهنئًا نفسه على ذكائه .. واندفع عبر الزقاق الضيق ..

لا يعرف كيف ولا متى وجدوا النهاية الأخرى للزقاق .. كانوا أذكى مما توقع ..

هناك فى الظلام رأى نحو خمسة رجال شرسى المنظر يقفون ويسدون الطريق ..

هل هى مصيدة من الأصل ؟.. هل كانوا يعرفون منذ البداية أنه سيجرب موضوع الزقاق هذا ؟

دار بالدراجة بسرعة ليعود من حيث جاء ، لكنه رأى عددًا آخر من الرجال يسدون الطريق ...

« الدهن يسيل من جسدك ويتساقط فى الإناء .. »

ما هذا السخف ؟..

كان يحمـــل الكتب على مســـند الدراجـــة ، لذا ترجل وتناول الحقيبة واندفع نحو الرجال ، وقبل أن يفهم أحد ما يحدث هوى على وجهه بالكتب الثقيلة ، ثم مر بين قدميه .. بالضبط بين قدميه ..

هناك شىء غير عادل فى هذا كله .. من القسوة أن يتعاملوا بهذه الطريقة مع صبى ..

لكن على هؤلاء القوم أن يعرفوا شيئًا : هم لن يربحوا مباراة جرى معه أبدًا . ليتمسكوا بالمصارعة أو الملاكمة .. لكن الجرى ؟.. مستحيل ..

هؤلاء القوم لن يستطيعوا القبض على فأر يفر من الزقاق ، وهو سيكون فأرًا ..

هكذا اندفع خارجًا من الزقاق ، وكانت السيارة هناك ولا أحد فيها . لقد ترجلوا جميعًا .. الأرقام !.. لا وقت لتدوين الأرقام لأنه يسمع أقدامًا ثقيلة من خلفه ..

القاهرة !.. مزدحمة فى كل الأوقات ما عدا اللحظات التى يطاردك فيها عشرة رجال .. عندها تصير خالية كأنها بلدة مهجورة فى أستراليا ..

راح يجرى كالبرق .. لا شك أنه تفوق على أى كائن سريع فى الكون ..

قدر أن الوقت مناسب للنظر للخلف ، وقد فعل فلم ير أحدًا .. لكنه استمر فى الركض لأنه توقع أن هؤلاء القوم يظهرون من تحت الأرض ...

أخيـــرًا رأى عربة شرطـــة هناك عند تقاطع الطريق .. إن المعجزات تحدث أحيانًا إذن ..

تقريبًا ألقى بنفسه أمام العجلات ، وراح يحكى لضابط شاب وسيم كيف هوجم من قبل عشرة رجال. لا يبدو أنهم يريدون لعب الكرة ..

قال له الضابط الذى بدا مستمتعًا بالموقف :

ـ « اركب ودعنا نر هذا الزقاق .. »

وانطلقت السيارة تلك المسافة القصيرة نحو المدخل ، بينما جلس سامح فى المقعد الخلفى متوترًا ..

قال الضابط :

ـ « سوف تقول إنهم اختفوا طبعًا .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. هذا ما حدث فعلاً .. »

ودخل الزقاق مع رجل شرطة فاستعاد دراجته وكتبه المتناثرة .. بالطبع لم يكن هناك أثر لهؤلاء القوم .. رسم البلاهة على وجهه وعاد ..

قال له الضابط فى سخرية :

ـ « أعتقد أننا سنعيدك لدارك .. ضع الدراجة على الشبكة وتعال معنا .. »

لم يكن قد رأى الكثير من أفلام الرعب ، لذا لم يخطر له أن عربة الشرطة تكون دائمًا ضمن الخطر الذى يطارده . كان من الجيل الذى يؤمن أن الشرطة فى خدمة الشعب لذا لم يشك لحظة .. وبالفعل أخذته عربة الشرطة إلى داره فترجل شاعرًا بالفخر والأهمية ، وساعده شرطى على إنزال الدراجة ..

لكنه عندما ابتعدت السيارة بدأ يدرك حجم المشكلة ..

أولاً : من المؤكد أن هؤلاء الرجال الذين هاجموه ينتمون للمجموعة التى كانت تدخل البيت فى تلك الليلة ..

ثانيًا : هم ليسوا مسرورين منه .

ثالثًا : لقد وجدوه .. كيف ؟... إنه لم يجد كتابه المفقود بعد ومعنى هذا أنهم وجدوه .. اسمه وعنوانه ومدرسته فى الصفحة الأولى ..

رابعًا : هم يعرفون بيته ... وواضح من طريقتهم أنهم لا يتورعون عن شىء ..

خامسًا : معنى هذا أنه لن يرى الأمان لحظة واحدة منذ الآن .. سوف يذهب لدروس أخرى ويتعرض لهجوم مماثل .. حتى شراء زجاجة خل صار مخاطرة ...

شعر بشعر ذراعيه ينتصب ..

يجب أن تعرف ريهام التفاصيل .. هى وحدها تقدر على اتخاذ قرار صحيح ....

- 9 -

يارا كانت رائعة الجمال ..

بالتأكيد لم تعد ريهام تتمتع وحدها بلقب أجمل فتاة فى الكلية .. منذ جاءت يارا بهتت ريهام وصارت عادية جدًّا .. إن فقدان عرش ملكة الجمال ليس هينًا لكنها تقبلته ، والسبب أن يارا كانت لطيفة فعلاً ..

كانت يارا طالبة جديدة من ذلك الطراز الذى لا يراه أحد تقريبًا .. ظهرت منذ أسبوع وقالت إنها كانت مريضة أو منتدبة أو محولة .. تلك التعقيدات التى لا يفهمها أحد ويفهمها الموظفون فى شئون الطلبة جيدًا .

لو لم تكن الامتحانات على الأبواب لالتف حولها الذباب الذكرى فى كل مكان ، لكنهم كانوا فى حال سيئة فعلاً .. السكرة راحت وجاءت الفكرة ولم يعد ثمة وقت للعب أدوار العشاق .. فقط الأولاد السخفاء جدًّا هم الذين ظلوا يلاحقونها .. وفى هذا الصدد لم تكن من الطراز الذى يعطى الذباب أية فرصة ..

كانت ريهام جالسة على ذلك السور المتهدم قرب الكافتيريا تطالع كراس المحاضرات ، عندما ظهرت يارا وقدمت لها نفسها ..

لكن (ريهام) كانت بالفعل تعرف كل التفاصيل ..

ـ « عرفت أنك الطالبة الأكثر تفوقًا هناك .. وقيل لى إننى يمكننى أن أحصل على بعض الملخصات التى فاتتنى .. تلك الكراسات ذات الخط الجميل الدقيق .. أنت أعددتها .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. لكن صدقينى عمل الملخصات يختلف عن استيعابها .. لقد قمت بالتلخيص وبقى أن أعرف ما هذا الذى لخصته .. »

ثم راحت تبحث فى حقيبتها :

ـ « أنت جئت فى وقت متأخر جدًا .. بصراحة لا أحسبك تقدرين .. »

ـ « سأحاول .. هذا ما سأفعله .. »

هكذا جلست الفتاتان جلسة طويلة ونمت صداقة لا بأس بها بينهما ..

كانت يارا جميلة كما قلنا ، لكن سر سحرها الحقيقى يكمن فى تلك النظرة الثابتة التى تسددها لك بعينيها السوداوين اللتين لا تطرفان .. نظرة تخترق كل شىء وتستلب روحك ذاتها ..

كانت ذكية كذلك ومن الواضح أنها تستوعب بسرعة جدًا ...

طالت الجلسة وجف ريق ريهام من الحر والكلام ..

نهضت إلى الكافتيريا وابتاعت زجاجتى مياه غازية ، وعادت إلى يارا الجالسة على السور المهدم ، هنا دهشت لما رأته ..

* * *

كانت ترى يارا من الخلف . يارا كانت منقضة على حقيبة ريهام تفتشها ..

كان فى تصرفها الكثير من اللهفة وربما الفحش كذلك .. لا أحد يفتش حقيبة الآخر بهذه الوقاحة .. واضح تمامًا أنها تحاول أن ترى كل شىء فى أسرع وقت ممكن ...

وعلى وجهها الذى كان رائع الجمال ، مسح شيطان وجهه وربما قدميه..

للحظة توقفت ريهام عاجزة عن قول شىء أو عمل شىء .. لا يوجد ما يقال .

هل هو الفضول ؟... لا .. الفضول يتم بدرجة أقل وبنوع من التردد .. لا أحد يفتش بهذه الثقة والإصرار ما لم يكن مخبرًا يؤدى عملاً كلف به ..

أطبقت يديها على عنقى زجاجتى المياه الغازية .. وبعصبية صاحت :

ـ « يارا !.. ماذا تفعلين ؟ »

وثبت الفتاة فى الهواء ثم استعادت روعها فأغلقت الحقيبة وقالت بلهفة :

ـ « حسبت .. حسبت أن معك ملخصات أخرى .. »

ـ « فى الحقيبة ؟.. »

استعادت يارا أنفاسها ، وقالت وهى تستعيد جمال وجهها ببطء :

ـ « حسن .. سأكون صريحة معك .. هل سمعت عن الكلبتومانيا ؟.. داء السرقة ؟.. أنا مولعة بسرقة أى شىء أجده

تحت يدى ولا أقدر على مقاومة هذا ، لكنك جئت قبل أن أنجح .. إنه نمط السيدة الثرية التى يقبضون عليها فى متجر شهير وقد ملأت حقيبتها بالمعروضات.. هى ليست لصة . هى مريضة بحاجة لعلاج نفسى .. »

قالت ريهام وهى تجمع حاجياتها فى شمم :

ــ « سوف أريحك من التفسيرات النفسية .. لقد انتهت مهمتى التربوية .. أرجو أن تجدى شخصًا غيرى .. »

ــ « لكن .. لماذا لا تصدقين ؟ »

قالت ريهام وهى تبتعد حاملة حقيبتها وزجاجة المياه الغازية التى ابتاعتها :

ــ « لو كنت عاكفة على السرقة لبدا الأمر مفهومًا نوعًا .. لكنك كنت تفتشين أيتها الحسناء .. تفتشين ! »

* * *

كانت قصة غريبة ، لكنها اعتادت على كل حال تصرفات البنات الغريبة مع بعضهن ..

هناك فتاة كانت تحقد على جمالها وتفوقها ، قامت بزيارتها فى دارها وأمضت عشر دقائق ثم انصرفت .. لم تكن تريد سوى أن ترى كيف تعيش ريهام ..

هناك فتاة أعلنت أن أخاها تقدم لخطبة ريهام ، ثم صدمه الفسق والانحلال فى بيتها من ثم فر بجلده ودينه .. طبعًا القصة كلها ملفقة .. لكن الغريب فعلاً هو أنه لا توجد أية عداوة بينها وتلك الفتاة ولم تتبادلا أكثر من عشر كلمات منذ التقيتا ..

نعم.. الفتيات غريبات الأطوار ، لهذا لا تستغرب ما حدث كثيرًا .. ربما هو نوع من الافتتان بفتاة متفوقة .. كيف تبدو حقائب المتفوقات من الداخل ؟

كانت تفكر فى هذا كله وهى عائدة إلى البيت ..

تصعد السلم منهكة تجر قدميها ...

كان سامح هناك .. وكان متوترًا جدًّا ..

عندما بدلت ثيابها هرع يأخذها معه إلى الشرفة ، التى صارت شرفة الأسرار .. وحكى لها قصة مرعبة ..

ـ 10 ـ

مر منتصف الليل ..

فى غرفتها راحت ريهام تدرس..

الحقيقة أن الكتاب المفتوح يعمل كشاشة ممتازة تعرض عليها ذكريات اليوم ..

كانت ترى يارا تفتش أشياءها .. وترى (سامح) يفر على دراجته بينما مجموعة من السادة الشرسين يلاحقونه بسيارتهم ..

الحق أنه كان يومًا صاخبًا ..

الخلاصة أنها كانت ترى أول ثلاث كلمات من كل سطر ، ثم تبدأ ذكرى جديدة ..

ولما كان عقلها يريد أن يسبح بعيدًا ، فقد قررت أن تسجل ما تقرؤه بجهاز الكاسيت .. طريقة أخرى ترغمها على أن تركز وتفهم ما تقرأ ..

لكن هذا الصوت يجعل التسجيل صعبًا ..

صوت رتيب لكنه غير معتاد ..

هكذا دنت من النافذة وكان الشيش مواربًا لذا أمكنها أن تختلس النظر منه لأسفل ، وقد قدرت أنها نسمة هواء عابرة تحرك أسلاك الهاتف ..

هنا رأت الحبل ..

كان حبلاً غليظًا يتدلى مـــن أعلى .. نظرت لأعلى لترى ما هنالك فأدركت أن هناك من ثبت هذا الحبل إلى السطح ... لماذا ؟ يبدو لها الأمر كأن أحدًا رمى بالحبل إلى أعلى على طريقة باتمان ليتدلى نحو الشارع وتأكد من أنه ثابت .. لكن لماذا ؟

إن هذه هى الجهة القبلية من البناية .. بعيدة عن المدخل وبعيدة عن العيان .. لا تطل إلا على أرض قفر واسعة لا يريد مالكها أن يبنيها لحسن حظهم ..

نظرت لأسفل ..

بعد تدقيق أدركت أنها ترى رجلين يتسلقان الحبل ..

نعم .. لا شك فى هذا ..

ثقيلين غامضين مصممين .. وهما على بعد طابقين تحت ..

لم تنتظر لتعرف ما يريدان .. لن تنتظر حتى تجدهما داخل الغرفة ثم تسأل ..

هرعت إلى المطبخ فأحضرت السكين العملاقة ، ثم عادت للغرفة .. كادت تتعثر فتبقر السكين بطنها.. وثبت إلى النافذة ففتحت المصراع ..

السكين حادة جدًّا والحبل قاسٍ مشدود كأنه من حديد .. لكنه يستجيب للقطع . هكذا هوت عليه ببضع ضربات ..

وسرعان ما سمعت صوت الصراخ والارتطام ..

لن تموتا .. لا تقلقا .. إن السقوط من على ارتفاع طابق لا يعنى إلا أربعة أمتار .. سقطة مؤلمة جدًّا لكنها غير قاتلة ..

هرعت إلى الهاتف وبدأت تدير القرص عندما ظهرت أمها وسامح على الباب وقد بدا عليهما مزيج من النعاس والذعر ..

ـ « ماذا هنالك ؟ »

قالت وهى تنتظر عودة الحرارة :

ـ « لصوص على الأرجح .. يتصرفون كلصوص .. لكن طريقتهم غريبة .. »

قالت الأم :

ــ « يسرقون ماذا ؟.. ليس لدينا ما يسرق .. »

نظر سامح من النافذة ، ثم هتف فى دهشة :

ــ « هناك من يساعدهم على ركوب سيارة .. لكن .. هذه السيارة .. إنها السيارة التى لاحقتنى ! »

فكرت ريهام قليلاً ثم وضعت السماعة ..

ــ « ألن تطلبى الشرطة ؟ »

قالت فى وجوم :

ــ « لن أستطيع إقناعهم بأن هذه ليست سرقة عادية .. سوف نقضى باقى الليل فى القسم ويعرضون علينا مئات من صور أصحاب السوابق ، بينما القصة ليست كذلك على الإطلاق .. وفى النهاية يطلقون سراحنا مع وعد بالتحرى والبحث .. لن يتغير شىء .. »

لقد دخلت القصة فى فصل من أفلام (الرجل الذى يعرف أكثر مما يجب).. هذا واضح ..

لكن لماذا ؟.. عرفوا ماذا ؟..

هرعت إلى الحقيبة الكبيرة التى يضعونها فوق خزانة الثياب :

ــ « سوف نعد الحقيبة يا أمى .. »

ــ « لكن .. لماذا ؟.. لماذا نرحل ؟.. ولم لا نفعل ذلك صباحًا ؟ »

فرشاة الأسنان .. لابد من فرشاة أسنان .. قالت وهى تضع فى الحقيبة منامة سامح وقميص نوم لها :

ــ « شرح هذا يطول .. هاتى كل ما يلزم لقضاء أسبوع عند عمتى .. لقد صار البقاء هنا خطيرًا .. »

ثم تذكرت فقالت لأخيها :

ــ « قل لزوج عمتى أن يجلب السيارة .. لن نجد سيارة أجرة الآن .. »

قالت الأم وهى تعتصر صدر قميصها كناية عن نفاد الصبر :

ــ « هلا شرحت لى ما يدور هنا ؟ »

فى صدق قالت ريهام :

ــ « بينى وبينك .. أتمنى أن أعرف .. أتمنى ! »

الجزء الثانى

وفيه حديث محبب عن القمل والمحامين الأمريكيين الذين يهوون الحفر ، ومتلازمة (فروليخ) ، والعبث في قمامة البيوت ، وبالطبع لابد من حديث عن خواء الصحف اليومية و(أيونو) والفوائد الأخرى للعكاز .

- 1 -

د. مينا طبيب الوحدة الصحية لاحظ هذا مبكرًا جدًّا ..

ولما كان رجلاً منظمًا فقد قام بعمل إحصائية ..

هكذا جاء الصباح وقد جاء (ماهر) ليجلس معه فى غرفة الكشف .. وقد وضع أمامه جريدة مفتوحة بها بعض شطائر الفول والطعمية .. جاء العامل الغليظ (محمد طايل) فطلب منه أن يعد لهما شايًا ثقيلاً ويبدأ بإدخال الحالات ..

وأمام ماهر وضع ملفًا به الإحصائيات التى أجراها ..

عندما عاد (طايل) بالشاى سأله ماهر :

ـ « هل ما زالت الضفادع تتكاثر ؟ »

ـ « الكثير جدًّا منها يا دكتور ...إنها فى الدور اليوم .. فى كل بيت تجد بعضها .. »

ـ « وكيف تتخلصون منها ؟ »

ـ « نجمعها فى أجولة وندفنها فى الأرض .. لن نأكلها طبعًا ! »

وراقت له الدعابة فراح يضحك بلا توقف .. سعل وبصق وبصق وسعل ثم غادر الغرفة .. وتعالى صوته وهو يشتم الفلاحين بالخارج حتى ينظموا أنفسهم فى طابور ..

أول من أمس اتصل ماهر بالوزارة وقال كلامًا عجيبًا عن المياه التى تحمر والضفادع التى تتكاثر .. تلقى الكثير من السخرية ، ووعدوه بتحليل العينات المرفقة . كان يصبو إلى الرحيل لكن الأوامر كانت صريحة بأن يبقى حيث هو وينتظر التعليمات ..

فى الحقيقة كان قد سئم الريف وبلغت روحه الحلقوم ، ثم إنه كان يمقت الأبراص والذباب .. وكان المسكن الذى خصصوه له يعج بها ..

كيف يتحمل بعض الناس الحياة هنا للأبد ؟.. لا يمكن لك أن تتحمل الريف ما لم تكن قد نشأت فيه .. هكذا قرر ..

دخل الفلاح الأول إلى الغرفة وأطلق سبة فى (محمد طايل) ، لابد أنها تتضمن شتيمة من يعمل عندهم ، لكن أحدًا لم يسمعها بوضوح .. كان ضخمًا كالثيران يلبس جلبابًا ملوثًا بالوحل الجاف ، وشعر صدره الأشيب يطل من فتحة الصديرى كأنه ضبع عجوز ..

نزع قلنسوته وأشار لرأسه .. هنا قبل أن يتكلم قال د. مينا :

ــ « عم (عوضين) ... القمل طبعًا .. »

بدا الانبهار والإكبار على الرجل ، بينما د. مينا يكتب له طريقة العلاج فى ورقة .. النصائح مهمة جدًّا .. خذ الحذر حتى لا يصاب الأولاد وأمهم ..

ــ « أصيبوا فعلاً يا دكتور .. »

ــ « إذن ليأخذ الجميع العلاج .. »

وغادر الفلاح الغرفة إلى الصيدلية ..

هنا دخلت الغرفة امرأة عجوز .. وقبل أن يتكلم أحد نزعت غطاء رأسها ليظهر شعرها الأشيب المجدول فى ضفائر .. وانحنت حتى صار رأسها تقريبًا فى شطائر الفول الموجودة أمام ماهر ..

هكذا انتهى الإفطار .. لن يمس هذه الشطائر أبدًا ...

وقبل أن تتكلم المرأة قال د. مينا :

ــ « القمل يا حاجة .. ألبس كذلك ؟ »

ـ « الكثير منه .. لم أعد أنام من الحكاك .. أريد أن أمزق فروة رأسى .. »

كتب لها العلاج مع النصائح .. ثم التفت لماهر متسائلاً :

ـ « لم لا تفطر ؟.. هلم .. غير ريقك ! »

لكن (ماهر) لم يعد بحاجة إلى الإفطار بقية حياته .. دعك من أنه بدأ يمزق فروة رأسه وهو يشعر أن هناك مليون قملة تجرى هناك ..

بعد نصف ساعة كان د. مينا قد رأى عشر حالات دون أن ينهض .. لكن تبقى حقيقة أن ثمانى حالات منها تعانى من القمل ..

التفت إلى ماهر متسائلاً :

ـ « هل فهمت ؟.. ألا ترى أن هذا غريب ؟.. أمس كنت فى المدرسة الابتدائية هنا ووجدت أن ثلاثة من كل خمسة تلاميذ يشكون من القمل ... »

قال ماهر فى تحفظ :

ــ « الأمر يتوقف على المعدلات السابقة .. لربما كان هذا المعدل أقل من المعتاد .. »

بدت على وجه مينا الدهشة مع الاشمئزاز وقال :

ــ « أقل ؟.. إن مستويات العيش تتقدم بلا شك ، ومعها النظافة .. لا ننكر هذا .. تعرف أنه صار من العسير أن ترى شخصًا حافيًا .. كما أن العدوى ببعض الديدان اختفت تمامًا . فيما مضى كنا نرى الكثير من البق .. اليوم من المستحيل تقريبًا أن ترى بقة واحدة.. أعتقد أن معدل القمل الحالى لا يتجاوز واحدًا من كل خمسة .. قبل هذا طبعًا ... »

ــ « ماذا تريد قوله ؟ »

اتسعت عينا د. مينا من وراء عويناته المحدبة التى تجعل عينيه عملاقتين أصلاً ، فبدا كأنه كائن فضائى مرعب وقال :

ــ « أعنى أن القمل يجب أن يوضع ضمن الاختلالات البيولوجية التى ألمت بهذه القرية .. »

* * *

كان شخير (صبرى) يتعالى وهو ما زاد الأمر سوءًا .. أسوأ شىء فى العالم أن تجبر على النوم مع شخص نقى الضمير يعانى من لحمية أنفية كبيرة .. لحسن الحظ أن هناك فراشين ..

جلس ماهر فى الفراش الصغير ينظر إلى سقف الغرفة .. الحقيقة أنه صار يتوجس من كل شىء ويشعر أن شتى الحشرات تعبث فى جسده .. إن الأنتيموفوبيا (خوف الحشرات) شائع لدى الجميع على كل حال ..

كان قد تناول العشاء الذى أرسله الحاج (عبد المستجير) . لو كانت لهذه القرية مزية فهى أن طعامها جيد . ولما كان العشاء دسمًا فقد قدر أنه سيموت لو نام فورًا .. جلس وراح يطالع الأوراق التى دونها فى ضوء المصباح الخافت الكئيب ..

كان قد ذهب للحمام منذ دقائق ، وكان ينظر لأعلى خشية أن يهوى برص من السقف فوقه . لم يلحظ أنه يوشك على أن يدوس مستعمرة كاملة من الضفادع .. نعم .. الضفادع تسللت إلى الحمام وملأت الأرضية .. نادى العامل وطلب منه أن ينظف هذه الفوضى ، فاضطر الرجل إلى تعبئة الضفادع المتواثبة فى دلو وخرج بها ..

إنه يذكر كارثة بيولوجية كهذه فى مكان ما .. ربما فى ألاسكا أو الاتحاد السوفييتى .. ما كان سببها ؟.. غالبًا هو إعصار غيّر مكان تجمع الضفادع ..

لكن هذه ليست القصة هنا .. ولا يمكن أن تكون ..

هناك لغز فى هذه القرية ..

لغز مخيف ..

ترى من الذى يملك الإجابة ؟

إن هؤلاء الحمقى فى القاهرة لا يشعرون بالخطر . يجلسون فى مكاتبهم الفاخرة ويقرءون التقارير ويضحكون ، بينما الحجم الحقيقى للمشكلة هنا . لابد من لجنة من أساتذة كلية الزراعة والعلوم وربما الطب تأتى هنا وتمضى عدة أيام ..

لديه صديق صحفى سيطير فرحًا لو اتصل به وأبلغه بهذه الأنباء ، لكنه كان يعرف أن من يتكلم كثيرًا يلقى شتى أنواع المتاعب . المفترض أن أى خبر يبلغ الصحافة سيكون هو مصدره ..

ما هى الخطوة الصحيحة ؟

ـ 2 ـ

عند الفجر يمكنك أن تلمح العربة (الكارو) التى يجرها حمار منهك صبور ..

لابد أن تسمع السباب البذىء من فم (عطية) صاحب الحمار ، وهو سباب موجه للعالم كله ، لكنه يعرف أن الحمار لن يفهم ولن يرد ..

لابد أن ترى كلبه الأجرب الذى يركض دائمًا ملاحقًا العربة ، وقد أخرج لسانه ليعطى الانطباع لكل من يراه أنه مسعور .. لكن الكلب والحمار وصاحب الحمار كلهم يتبارون فى إظهار مدى الفقر وشظف العيش ...

مهنة عطية مبهمة ، فهو من الأشخاص الذين جاءوا من الريف على أساس كلام قاله ابن عم أو ابن خالة عن أن القاهرة تعج بالفرص . ترك قريته وجاء لكن الفرص لم تكن تنتظره على المحطة ، لذا هو خليط عجيب من بائع خضر وجامع قمامة وبائع صحف وأحيانًا يعمل كسيارة أجرة ينقل التلاميذ الفقراء إلى مدارسهم .. إنه يعمل أى شىء يجلب مالاً ، والأهم أنه

توصل لحقيقة راسخة هى أن كمية رزقه ثابتة ، لو حصل عليها من عمل واحد أو عشرة أعمال .. كان يحسب أن عملاً واحدًا يدر جنيهًا وعشرة أعمال تدر عشرة جنيهات .. هذا تفكير ساذج ..

إلى أن قابل (سليم) ..

سليم هو بواب صعيدى لبناية فى المنطقة ..

قال له سليم وهو يتقاسم معه لفافة تبغ :

ــ « هُم مجموعة من الخواجات .. لا يعرفون الكثير عن البلدة ..سوف تشترى لهم ما يلزمهم من طعام يوميًا .. وفى كل يوم تأتى فى السابعة صباحًا لتتخلص من قمامتهم .. لا توجد مشاكل وهم يدفعون جيدًا .. »

تساءل عطية بخبث فطرى :

ــ « ولماذا لا تعمل أنت هذا العمل ؟ »

ــ « لأنه لابد من عربة يا فالح .. يحتاجون لكميات كبيرة .. »

هكذا بدأ عمل (عطية) ..

لم يكن أحد يعرف الكثير عن تلك البناية ، فهى عتيقة جدًا ومنسية .. طراز البيوت التى تظل كما هى لأن هناك خلافات ميراث لا تنتهى عليها .. لكنها فى مكان قفر فعلاً ولا يوجد جيران ..

فى كل يوم يدق الباب الخشبى ويصيح :

ـ « عطية ! »

من ثم ينهق الحمار مرتين .. ينفتح الباب وتظهر امرأة صارمة الوجه يبدو أنها أجنبية . تطلب منه طلبات السوق كلها وتعطيه مبلغًا من المال ، وكانت الطلبات دائمًا خضرًا وخبزًا لكنها لا تحوى اللحم أبدًا .. ربما كانوا يتصرفون فى موضوع اللحوم أو هم لا يأكلونها ..

عندما يحضر المال يذكر مبلغًا (مضاعفًا طبعًا) لكن المرأة لا تعلق ، وتدفع له مع زيادة تمثل أجره ..

فى الصباح الباكر يذهب ليدق ذات الباب .. بعد دقيقة ينفتح الباب وتخرج له ذات المرأة عددًا من الأكياس السوداء المغلقة فيضعها على العربة ، وفى كل يوم توصيه :

ـ « تخلص منها بعيدًا .. لا تفتحها .. فلا أحب الفوضى .. »

فيهز رأسه موافقًا ..

يحمل حمولته الثقيلة فعلاً نحو مقلب قمامة على بعد مائتى متر ، فيلقى بالحمولة كلها .. بعد أيام سوف يتسلى بعض الصبية فيشعلون النار فى القمامة .. هذه هى طريقة الحماية البيئية هنا ..

هكذا دارت الأيام وهو راضٍ بطريقة الرزق هذه .. إنه مبلغ مضمون ..

لكنه راح يتساءل برغم كل شىء عن كنه هذا البيت . كميات الطعام والقمامة هذه تدل على أن هناك عددًا لا بأس به من القوم .

على قدر علمه هذا البيت غير مقسم لشقق بل هو مخصص لأسرة واحدة . فما هى الأسرة التى يتكون أفرادها من هذا العدد ؟..

فشل فى فهم أى شىء من البواب الصعيدى (سليم).. سليم القادم من المنيا قال له إنه يعرف هؤلاء القوم .. يبدو أن بعضهم كانوا فى ملوى وبعضهم زار قريته ..

هذه هى الطريقة التى تم بها التعارف فى القاهرة .

هكذا حدث ما يحدث فى أية قصة من قصص ألف ليلة ، وهو أن صاحب الحمار لم يعد يطيق صبرًا كى يفهم من هؤلاء القوم ولا لماذا لا يخرجون ..

بالطبع لم يخطر له أن يتسلل للدار .. هذا يحتاج إلى تهور غير عادى .. كل من تعامل بالقمامة يعرف أنك قادر على استخلاص فكرة كاملة عن سكان الدار من قمامتهم .

هكذا جاء اليوم الذى حمل فيه أكياس القمامة بعيدًا ..

هناك جوار مقلب القمامة جلس القرفصاء ونظر حوله .. لم يكن هناك أحد . أخرج مطواة من جيب الجلباب وبدأ يشق الكيس الأسود ..

تناثرت القمامة القذرة المعتادة .. بالفعل يمكنه أن يحدد كل شىء ومتى اشتراه لهم . عبوات الصابون الفارغة .. قشر البازلاء .. لا توجد صحف .. زجاجات زيت وخل ..

هذا كيس عادى جدًا مما يمكن أن يخرج من أى بيت ..

مد يده يعبث فى كيس آخر .. قشر فاكهة .. لا شىء سوى هذا ..

لكن .. هناك ذلك الانتفاخ داخل الكيس .. كأنه كيس مغلق بإحكام داخل كيس أكبر ..

نظر حوله من جديد .. لا يوجد أحد سوى كلبه يعبث هنا وهناك ..

ألقمه حجرًا ليبتعد وأطلق سبة بذيئة أخرى .. ثم راح يفرغ الكيس .. بالفعل هناك كيس سميك بالداخل .. كيس تم إغلاقه بعناية أكبر . شقه بالسكين وأفرغ ما فيه ..

كان هناك الكثير من الشعر الآدمى .. هذا ليس مستغربًا لأنك سوف تندهش من الأشياء التى يلقيها الناس فى قمامتهم . هذا أحمق حلق شعره وتخلص من الشعر فى كيس والمفروض أن يلقيه فى المرحاض تجنبًا للسحر ...

هناك أنابيب زجاجية مهشمة .. الكثير من الزجاج .. حاول ألا يمس شيئًا .

لا يوجد شىء آخر ..

لم يلحظ أن الكلب قد عاد ، ولا أنه دس أنفه فى بقايا الكيس التى ألقى بها بعيدًا ..

فقط سمع الأنين الذى يمزق القلوب .. صوت حيوان يتألم .

رفع عينه فى عدم فهم .. فرأى مشهدًا لا يوصف ..

لقد تحول وجه الكلب إلى شيء مخيف .. ثمرة التين الشوكى قبل تقشيرها ، مع أجزاء من الجلد تتساقط بلا توقف .. الكارثة أن هذا يمتد من الأنف للعنق .. كأنه سرطان يزحف ..

كان الكلب البائس يحاول بقائمتيه الأماميتين أن ينزع هذا الألم عن وجهه .. كان يعوى ويحاول أن يستعيد ما كان عليه منذ نصف دقيقة ..

لم ير عطية شيئًا كهذا من قبل .. ولكنه أدرك أنه لو لمس الزجاج لكان الآن يفعل ما يفعله الكلب ويبدو مثله..

نهض جاريًا نحو الحمار ، فنهض الكلب يلحق به وهو يعرج .. تناول حجرًا وقذفه به .. لكن الكلب لم يستطع الاستمرار لأن قائمتيه تخليتا عنه فسقط على الأرض ...

ألهب عطية ظهر الحمار وانطلق مبتعدًا ...

لا يعرف معنى ما رآه ولا تفسيره .. فقط يعرف أنه لن يمارس تلك المأمورية ثانية ، ولن يمر على تلك البناية .. هؤلاء القوم يدارون سرًّا خطيرًا وهو لا يريد سوى أن (ياكل عيش) ..

ـ 3 ـ

الآن نحن فى العام 1907 ..

وثبة هائلة فى الزمان لكنها ليست فى المكان ، لأننا فى الحقيقة نرتاد وادى الملوك المصرى ..

هذه التفاصيل حكاها لى د. رمزى حبيب فى داره ، لهذا أتنحى قليلاً وأتركك تتابع الأحداث بلا تعليق ..

كانت الشمس حارقة .. كل شىء جاف قاس ، وبالتأكيد ليس أفضل مكان لأنثى أمريكية رقيقة . لكن (تيودور دافيز) كان مصرًا على أن يصطحب زوجته معه ..

لم يكن (تيودور دافيز) خبير آثار ، بل هو فى الأصل محامٍ أمريكى قرر أن يجرب حظه فى مصر ، وكان نافد الصبر يفتقر للروح العلمية تمامًا .. إنه ذلك الطراز العبقرى من البشر الذى يهوى على الصخرة بـــ 99 ضربة ثم يمل ويرحل ، تاركًا من يأتى بعده ليهوى بالضربة رقم مائة ويجد الكنز ..

فى تلك الفترة كانت مصر مفتوحة للمغامرين .. كل من يزعم أنه عالم آثار يحق له أن يحفر فيها . المهم أن يكون أجنبيًا وأن يكون معه حشد من العمال والخرائط ...

أقــول : كانت الشمس حارقة ، وكــان العرق يغمر الأعناق ويبلل الصدور والظهور ..

الرجال يعملون بلا توقف بينما (دافيز) يقف ببدلته وقبعته البيضاء ، وهو يلوح بالعصا فى (ألاطة) مصدرًا تعليماته ذات اليمين وذات اليسار .. والحقيقة أن العمل الحقيقى كان يقوم به البريطانى إدوارد إيرتون الذى يعمل تحت إمرة ديفيز.

لقد وجد علامات تدله على أن هناك مقبرة ..

بالفعل كان على عتبة مقبرة مهمة جدًا ، هى ما سيطلق عليه رجال الآثار اسم KV55 ومعناها (المقبرة رقم 55 فى وادى الملوك) ..

صبرًا .. لنر ما هنالك ..

درجات سلم تقود لأسفل . وتنتهى عند باب غير محكم الغلق ..

نظر له الرجال متسائلين ، فأصدر أوامره بأن يقوموا بفتح هذا البــــاب ..

ووقف بينما الضربات تنهال على الباب.. ثم طلب شمعة واقترب من الباب الحجرى أكثر ، ورفع العدسة يتفحص نقشًا هناك ..

ــ « خاتم ابن آوى .. »

ونظر فى دهشة لمن حوله .

كان (دافيز) من المؤمنين بأن وادى الملوك قد أفضى بكل أسراره .. كل شىء قد سرق وما بقى قد وجده الأثريون .. لاداعى للمزيد من البحث ...

لكن خاتم ابن آوى يعنى أن هذا قبر استنقذه الكهنة من اللصوص ثم أعادوا غلقه بإحكام .. السبب هو أن ابن آوى ينام فوق فرائسه لذا استخدموه رمزًا ..

أخيرًا انفتح الباب وهبت الرائحة الخانقة الكريهة المميزة للقبور المغلقة ..

يضع الشمعة فى المدخل ليرى إن كانت ستنطفئ .. معنى أن تبقى متوهجة أن هناك نسبة من الهواء الصالح للتنفس .. متوهجة ...

ثم إنه بدأ الدخول ..

هناك الكثير مــن قطع الخشــب المهشم على الجانبين .. هذا الخشب ما زال موجودًا فى المتحف المصرى حتى اليوم ..

كان تكوين المكان يشبه تكوين المقابر الفرعونية المعتادة ..

وفى داخل المقبرة كانت هناك أوعية كانوبية .. الأوعية التى كانوا يحفظون فيها أحشاء المتوفى ..

تساءلت الزوجة وهى ترمق الوعاء على ضوء الشمعة :

ــ « ما هذه ؟ »

قال فى شرود :

ــ « أوعية كانوبية .. لكنها غريبة .. المعتاد أن ينقش عليها وجه الربة (سيلكت) .. الغريب أن هذا وجه لا أعرفه ... »

كان هذا القبر مراوغًا مصرًّا على طرح أسئلة بلا جواب ...

لقد وجد دافيز التابوت مهشمًا على الأرض ..

حبس أنفاسه من الإثارة وكذا شهقت زوجته .. إن المشهد على ضوء الشموع يحتاج إلى أعصاب قوية من دون شك ..

كانت هناك قلائد كثيرة ..

راح يتفحصها ويده ترتجف ..

بعضها كان يحمل نقوش اسم (إمينوفيس الثالث) .. وبعضها كان يحمل اسم الملكة (تى) ..

من صاحب هذه المومياء ؟

* * *

لو كانت دروس التاريخ قد اختلطت فى ذهنك ، فنحن نتكلم عن الأسرة الثامنة عشرة ..

أمينوفيس هو الملك العظيم الذى أحب امرأة فاتنة من عامة الشعب وتزوجها .. هذا مثال آخر لمن غلب الحب فى قلوبهم مقتضيات الضرورة والعرف ..

يمكنك إذا دخلت المتحف المصرى أن ترى منذ اللحظة الأولى التمثالين العملاقين لأمنوفيس الثالث جوار الملكة تى .. ويمكنك بسهولة أن تدرك أنها امرأة فاتنة لعوب ..

نتيجة هذه الزيجة كانت أمنوفيس الرابع .. الشاب الحالم الذى لم يكف عن إلقاء أسئلة ميتافيزيقية لا نهاية لها .. كان يقضى الوقت فى نظم الشعر ، وعندما صار شابًا أحدث ثورة دينية كاسحة فى مصر كلها عندما أسقط إله الآلهة آمون وثلة الآلهة

المحيطة به .. تحدث عن إله واحد هو قرص الشمس (آتون) ، وأطلق على نفسه اسم (أخيناتن) ..

هذه هى الفترة التى تم نقل العاصمة فيها إلى تل العمارنة ، إلى مدينة (أفق آتون) ، ويطلق العلماء على الفترة كلها اسم (العمارنة) ..

كانت زوجة (أخيناتن) هى الحسناء الرشيقة طويلة العنق (نفرتيتى) .. وكان ابنه هو الصبى (توت عنخ آتون) الذى عاد ليصير (توت عنخ آمون) عندما عادت سيطرة آمون على البلاد ..

وما لا يعرفه (ديفيز) هو أن قبر (توت عنخ آمون) يقع على بعد خطوات من مكانه هذا ، ولسوف يكتشف بعد خمسة عشر عامًا ..

* * *

على ضوء الشموع تفحص (ديفيز) المومياء ..

لقد تعرضت لعملية تشويه متعمدة قوية جدًّا .. حتى أقنعة المومياء كانت محطمة ..

كانت اليدان متقاطعتين على الصدر فى ذلك الوضع الفرعونى الشهير .. وبدا كأن صاحب المومياء يحلم ..

قالت الزوجة فى انبهار :

ــ « الأمر واضح ... هذه مومياء الملكة (تى) .. كما دفنها ابنها (أخيناتن) هنا .. »

ابتسم فى الظلام وجفف قطرات العرق على جبينه :

ــ « بالعكس .. كل شىء يقول إنها مومياء ذكر .. »

من التقاليد الملكية أن الذكر يدفن ويداه متقاطعتان على صدره ، بينما الأنثى تدفن وأحد ذراعيها جوارها والآخر على صدرها ..

لكن لم تكن الأمور بهذه السهولة ..

إن معرفة صاحب المومياء وجنسه قد حيرت العلماء عقودًا طويلة ...

- 4 -

قال د. رمزى حبيب وهو يريح ذقنه على العكاز :

ـ « فعلاً يبدو الأمر كأنها قصة أو فيلم سينمائى .. سوف تجد عسرًا فى التصديق ، لكن دعنى أؤكد لك أن هذا كله حقيقى تمامًا .. »

ثم اتجه إلى أرفف مكتبته فانتقى كتابًا هائل الحجم لمحت على كعبة عبارة (الآتونيون).. وقال وهو يقلب الصفحات :

ـ « كان تشوه الحوض شديدًا حتى إنهم طلبوا أستاذ تشريح أمريكيًّا كى يقرر جنس المومياء.. وكان رأى الأستاذ أنها مومياء أنثى .. بالتالى استنتج الجميع أنها مومياء الملكة (تى) أم (أخيناتن) نفسها ..

"لكن تم نقل المومياء إلى كلية طب القاهرة . هناك كان رئيس قسم التشريح (إليوت سميث) الذى بدأ بتشريح المومياء .. وكان رأيه القاطع بعد التشريح أن هؤلاء مخابيل . هذه مومياء ذكر بلا أدنى شك ..

« العظام صغيرة السن كذلك ، بينما الملكة تى ماتت وهى مسنة .. إذن هذه العظام لا تخصها . وكان رأيه الأميل للرجحان هو أن هذه العظام عظام أخيناتن نفسه .. لكن تبقى مشكلة أن سن العظام أصغر من سن أخيناتن نفسه عندما مات .. لقد تولى الحكم وهو مراهق ودام ملكه 17 عامًا .. إذن هو كان فى الثلاثينيات .. »

(فى العام 2009 أعلن د. زاهى حواس أنه متأكد ـ عن طريق الحمض النووى ـ من أن هذه عظام أخيناتن ، لكننا لم نكن نعرف شيئًا من هذا فى ذلك الوقت .. دعك من أن هذا لم يجب عن مشكلة التناقض الواضح هذه) ..

لابد أن طبيبًا شابًّا متحمسًا قال لإليوت :

ـ « حتى لو كانت العظام تخص (أخيناتن) فهذا مستحيل .. إنها أصغر بكثير من السن التى مات فيها .. »

ابتسم إليـوت ووقف أمام صورة كبيرة على الجدار لتمثال أخيناتن ..

إن وجه أخيناتن وجه شاعر بكل تأكيد بتلك النظرة الحالمة والأنف الكبير وعظام الوجنتين البارزة .. تمتاز فترة العمارنة بواقعية شديدة فى النحت ، فلم يعد هم المثال والرسام أن يظهرا الفرعون جميلاً.. المهم أن يبدو حقيقيًا وأن تكون ملامحه صادقة ..

ملامح أخيناتن قالت إنه شاعر ، ولم تقل إنه جميل ..

أما عن جسده فمشكلة أخرى ..

لا يجب أن تكون طبيب غدد صماء كى تعرف أن صاحب هذه التماثيل يعانى مشكلة شديدة .. إنه جسد مكتنز من أسفل فقط ، ملفوف ناعم أقرب لجسد أنثى ، مع بطن متدلية تظهر فى أكثر من صورة .. وقد قرر الأطباء أنه مصاب بداء اسمه (متلازمة فروليخ) .. Frolich's syndrome .. وهو خلل فى الغدة النخامية يؤدى لقائمة طويلة من الأعراض ..

هذا المرض يجعل العظام تبدو أصغر سنًا .. وهى نقطة أخرى فى صالح أن تكون المومياء مومياء أخيناتن ..

هنا يظهر طبيب آخر محتجًا :

ـ « إنهم حمقى !.. المريض بداء (فروليخ) لا ينجب ، بينما (أخيناتين) أنجب عدة فتيات .. »

قلت وأنا أضع ساقًا على ساق :

ـ « هذا مذهل فعلاً .. كل علماء التشريح هؤلاء عاجزون عن معرفة هل هى مومياء ذكر أم أنثى .. (أم آية) بائعة الأرانب تفعل ذلك بسرعة البرق .. »

ابتسم د. (رمزى) وقال :

ـ « هـذا هو ما حـدث .. لا تنس أن حالة المومياء سيئة لدرجة تجعلها أقرب إلى هيكل عظمى . على كل حال انقسم الأطباء إلى فريقين .. فريق قال إنها مومياء ذكر صغير السن ، وبالتالى هو أخو (أخيناتن) الأصغر واسمه (سمنخارع) .. معنى اسمه بالمناسبة هو (قوية هى روح رع) .. والذى تزايد نفوذه بشكل مرعب فى نهاية عهد أخيه .. »

ـ « هذا مع من يتبنون نظرية الذكر .. »

ـ « من يتبنون نظرية الأنثى يقولون إنه بما أن علامات (أخيناتين) و(تى) موجودة ، فإن المقبرة تخص (كيا) .. زوجة (أخيناتن) الثانية التى تلت (نفرتيتى) ! »

ثم قال بلهجة درامية وهو يغلق الكتاب :

ـ « هذا هو لغز المقبرة رقم 55 .. »

* * *

قلت له وأنا أرشف الشاى الذى أعددته السيدة مارى لى :

ـ « كل هذا جميل ومثير فعلاً .. لكن ما زلت لا أفهم دورى فى هذا .. لا أفهم ما هو الميتافيزيقى فى القصة .. »

مد يده إلى الدرج وأخرج قطعة خشب عتيقة رسمت عليها خرطوشة وقال :

ـ « هناك من وجد هذه القطعة اليوم .. الاسم المكتوب عليها هو (سمنخارع) .. لم نر من قبل الاسم مكتوبًا بهذه الطريقة .. ويعنى هذا أن هناك من وجد شيئًا .. لو كانت هذه القطعة قد أخذت من المقبرة 55 فهى تشير بقوة لصاحب المقبرة الحقيقى .. إن سمنخرع لغز وصداع حقيقى لكل مهتم بالمصريات .. لا توجد حقائق ثابتة عنه وما نعرفه شحيح جدًا .. هناك اختلاف فى طريقة كتابة الاسم توحى لبعض الأثريين أنه فتاة .. »

قلت له فى ملل :

ـ « إذن هى مقبرة سمنخارع أخى أخيناتن أو أخته .. ربما يكون هذا كشفًا مذهلاً لكم لكنه لن يحرمني القدرة على النوم .. ثق أننى سأنام ملء جفونى وسأنعم بحياتى .. بالنسبة لى لم يتغير شىء .. »

ابتسم وأسند ذقنه على العكاز وقال :

ـ « لماذا يطفو هذا الموضوع على السطح الآنَ ؟.. فى نفس الشهر الذى اختفت فيه المومياء الغامضة ؟ »

- 6 -

كنت فى المستشفى ، عندما وجدت صحف الصباح على المكتب .. أحدهم تخلص منها بهذه الطريقة . أنا أؤمن أن الصحف تحوى الكثير من الهراء .. وأندهش جدًّا من الذين يدققون فى كل حرف فيها كأنها كتب سماوية تضم قطوف الحكمة .. فى رأيى أن أفضل صحيفة يجب أن تقرأ خلال عشر دقائق ..

لكنى على سبيل كسر الملل رحت أطالع الموضوعات بسرعة .. هراء .. سخف .. هراء .. كلام فارغ .. كذب .. تدليس .. سخف .. إلخ ..

هنا وجدت هذا الخبر :

لجنة من أساتذة كلية الزراعة والعلوم لفحص ظاهرة تلوث مياه النيل فى قرية (أطفيس) .. اللون الأحمر والتزايد الغريب للضفادع يدلان بلا شك على خلل بيئى .

ثم خبر آخر :

الطب البيطرى : الحمى القلاعية ليست المسئولة عن وفاة المواشى فى مديرية (......) . أكدت وزارة الزراعة خلو القرية من الحمى القلاعية وداء الفم ــ الحوافر . كان الفلاحون فى قرية (أطفيس) قد لاحظوا تزايد نسبة الوفيات بين الماشية والماعز والخراف .

من الغريب أن من نشر الخبرين فى صفحة واحدة لم يربط بينهما قط . دليل واضح على أنه لا أحد يقرأ حرفًا .. إنما هى عملية تسويد صفحات بكم معين من الكلمات ..

كل هذا غريب ..

لو طلبوا رأيى لقلت إن هذا غريب ، لكن بالطبع لا أحد يطلب رأيى على الإطلاق.. وعلى كل حال ما كنت لأضيف شيئًا سوى أن هذا غريب .. ليس بالاكتشاف المذهل كما ترى ..

أين هى أطفيس هذه ؟..

اسمها موح فعلاً ..

أمسكت بجهاز الهاتف وبدأت عملية الاتصال بصديق لى فى وزارة الزراعة . عندما تتقدم فى العمر تكتشف فى دهشة أن لك

أصدقاء مهمين فى كل مكان . هؤلاء المراهقون السذج قد كبروا وصاروا خطرين .. وكما تقول الدعابة القديمة ، فأنت تفرح لأن أصدقاء صباك فى مناصب مهمة ، لكنك تشعر بمرارة فى فمك بسبب خوفك على مستقبل الوطن !

أخيرًا جاءنى صوته .. (عامر السروجى) الذى صار من أساطين الوزارة .. علاقتنا سطحية ولله الحمد لكنها لم تنقطع .. هكذا سألته عن هذه القصة الغريبة وعما يعرفه ..

ــ « لست أنا خير من يجيبك .. هناك كيميائى كان هناك وهو أول من سجل الظاهرة .. اسـمه (ماهر عواد) .. أعتقد أنه سيفيدك كثيرًا .. »

وهكذا وجدت رقم هاتف آخر أمامى فطلبته ..

جاء الصـوت القلق قليلاً .. شخص عاقل متزن لكنه يعانى ضغطًا نفسيًا هائلاً ..

قدمت له نفسى وقلت إن (عامر السروجى) يوصيه بى بشدة .. فظل يردد بلا توقف :

ــ « أنا تحت أمرك .. لا داعى للتوصية .. »

ــ « هذه الأشياء الغريبة التى تحدث فى قرية اسمها .. اسمها .. »

ــ « أطفيس .. مديرية (......) .. أنا عائد من هناك .. »

كدت أسأله عن المزيد ، لكنه قاطعنى فى عصبية :

ــ « اسمع يا دكتور .. لا أستطيع الكلام على الهاتف .. دعك من أن التفاصيل كثيرة . إذا كان وقتك يسمح بالمرور على مكتبى فأنا أرحب بك وإلا فأرجو أن تعفينى من الكلام .. »

عندما وضعت السماعة ، رحت أفكر فى الأمر ..

هل يستحق الأمر الاهتمام ؟.. وهل يستحق رحلة شاقة إلى مكتب هذا الرجل ؟ ..حدسى يقول إن علىَّ أن أفعل ذلك .. هناك لغز مهم ، ومن الواضح أن أحدًا لا يلاحظ أى شىء .. العميان الذين يتحسسون فيلاً فيعتقد أحدهم أن الفيل أسطوانة طويلة ، ويحسب أحدهم أن الفيل يشبه المروحة ، ويحسب آخر أن الفيل عمود من العاج المدبب .. لابد من مبصر كى يستوعب كنه الفيل ..

وكنت أشعر أننى قريب جدًا من رؤية فيل كامل وراء هذا كله ..

* * *

قليل من الأشخاص من يشبهون صوتهم بهذه الدرجة الغريبة . اعتدت أن الصوت لا يشبه صاحبه إلا نادرًا .. كان (ماهر) من الأشخاص الذين .. الذين يشبهون صوتهم .. هذا كل ما أستطيع قوله عن ملامحه ..

كان حليق الرأس . أصلع تمامًا فى عصر لم تكن فيه موضة (سكين هيد) معروفة .. وكان مصابًا بوسواس النظافة لذا كان يطهر يده بسائل ما من وقت لآخر ...

حكى لى عن مياه النيل التى صارت حمراء وعن الضفادع .. كما حكى لى عن الذباب الذى ملأ كل موضع فى القرية .

قلت له فى حذر :

ـ « والقمل طبعًا ؟ »

نظر لى فى دهشة .. ثم هز رأسه موافقًا .. لم ينشر شىء عن القمل فى الصحف .. وهو لم يذكره ..

ما لم أقله طبعًا هو أننى خمنت لماذا حلق شعر رأسه وأصيب بالهستيريا .. لا شك أنه استيقظ ذات يوم ليجد تلك الحشرات البشعة تمرح فى شعر رأسه .. ولا شك أن الشعيرات امتلأت

بالصيئبان ... طبعًا بالنسبة لرجل نظيف يستحم بانتظام كانت هذه نهاية العالم..

ـ « وموت الحيوانات .. لقد حدث كل شىء بسرعة .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. بلى .. »

إذ فى يوم سمعوا صراخًا وعويلاً فخرجوا ليجدوا فلاحة تمزق شعرها وتنثر التراب على شعرها .. جوارها تلفظ جاموسة ضخمة فاخرة الشكل أنفاسها ، بينما الرغاوى تخرج بكثافة من فمها كأنها كانت تمضغ الصابون .. ثم تعالت الصرخات فى أرجاء القرية مع تكرار المشهد فى أكثر مـــن بيت ، بينما راح الفلاحون يركضون بالمدى محاولين إنقاذ هذا اللحم للاستفادة بأى قدر منه . كان الموت أسرع فى أغلب الحالات .. إن موت المواشى لكارثة الكوارث بالنسبة للفلاحين ، ولا يمكن مقارنته إلا بموت فرد من الأسرة؛ فالبقرة أو الجاموسة تساوى قيمتها المادية بالإضافة لقيمة لا تقدر بالمال من الشعور بالأمان والخير والفخر والاطمئنان للغد .. إلخ ..

في طفولتى كانت الكولا اختراعًا مذهلاً لا يحلم به أى ساكن فى القرية ، وكانوا يعتقدون أنها تشفى أى مرض .. لذا عندما كانت الجاموسة تمرض كانوا يملئون لها دلوًا بزجاجات الكولا .. بالطبع لم يكونوا يسمحون لأطفال الأسرة بتذوق قطرة واحدة ...

كان منظر المواشى المكتملة الحسناء وهى تتشحط على الأرض ، بينما يتكاثر حولها الذباب وتتواثب الضفادع مشهدًا لا يمكن نسيانه .. كأنه كابوس ..

قلت له :

ـ « أنت تعرف ما سيحدث بعد ذلك .. »

نظر لى واتسعت عيناه .. فلما رأى أننى أفهم قال على الفور :

ـ « نعم .. سوف تملأ القروح أجساد الناس ... »

ـ « أنت تفهمنى ... »

كنا نعزف النغمة ذاتها ...

النيل الدموى .. الضفادع .. القمل .. الذباب .. نفوق الحيوانات ..

نحن نتحدث عن أوبئة مصر العشرة التى وردت فى التوراة !

- 7 -

قال د. رمزى وهو غير راغب فى سماع ما سأقول :

- « ريهام لم تظهر .. »

كان هذا مقلقًا بالفعل .. ريهام لم تظهر ، وهذا يعنى أن الظهور من عاداتها التى لا تتخلى عنها .. لكن من هى ريهام ؟.. ولماذا اعتادت الظهور ؟

- « هذا مخيف .. لكن من هى ريهام ؟ »

شرح لى فى النهاية أن (ريهام) هى الفتاة التى أحضرت له قطعة الخشب تلك ، وقد وعدته أن تمر عليه لتخبره بما هو أكثر لكنها لم تفعل ..

رأى إحدى زميلاتها تمر أمام مكتبه فناداها ليسألها عن (ريهام) .. كانت الفتاة دجاجة بلهاء من الطراز الذى لا يمكن أن تحصل منه على معلومة ما ... قالت أشياء مثل :

- « هى لم تأت اليوم .. غالبًا السبب هو أنها لم تأت .. لكن لو جاءت لعرفنا ولتأكدنا من أنها أتت .. على كل حال هى

لا تأتى هذه الأيام .. إنها نهاية العام والقليل من الطلبة يأتى .. لكن (ريهام) لم تأت وهذا غريب لأنه من المعتاد أن تأتى .. وهذا غريب بدوره لأن الطلبة لا يأتـــ ... »

- « كفى !! »

قالها فى عصبية ، ثم سألها عن رقم هاتف أو أية طريقة للاتصال فسيطر عليها خرس الأسماك .. لا تعرف أى شىء ..

قلت له فى لا مبالاة :

ـ « وما فى ذلك ؟.. عدم دقة فى المواعيد .. مرحبًا بك فى مصر .. »

فكر قليلاً وتجعد جبينه كناية عما ينتابه من أفكار سوداء :

ـ « لا .. ليست (ريهام) .. إنها دقيقة فى المواعيد ، ولو شاء طالب أن يتجاهلنى فلن يكون هذا فى نهاية العام .. إنهم أذكى من ذلك .. »

المشكلة هى أنهـــا اختفت فى لحظة ذروة .. كأنه مسلسل بوليسى شائق أوقف عرضه قبل أن نعرف اسم القاتل .. اختفت وهى تملك الإجابة التى لم ينم الليل بحثًا عنها ..

كانت ستخبره بالمكان الذى وجدت فيه اسم (سمنخارع) هذا ، وكان البحث سيبدأ من هنا ..

كنت أنا مستمتعًا بالموقف شأن من لا ناقة له ولا بعير فى القصة كلها ، لكننى أردت أن ألفت نظره إلى ما توصلت إليه ..

قلت له وأنا أسترخى فى مقعدى :

ــ « دعك من الفتيات اللاتى لا يأتين حين يجب أن يأتين ، واسمع هذه القصة ... »

* * *

ظل يصغى فى شرود وقد تزايدت التجاعيد على جبينه ، وامتشق العكاز كأنه سيف حتى شعرت بأنه سيبقر به أحشائى فى أية لحظة ..

فى النهاية قال لى :

ــ « أوبئة مصر العشرة .. هذه قصة عبرانية تمامًا .. نحن نتحدث عن سفر الخروج فى التوراة .. »

قلت :

ـ « لا تنس أن جزءًا منها ذكر فى القرآن الكريم .. ليس بالتفصيل لكن هناك ذكرًا للطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم .. »

نظر خارج النافذة وغمغم :

ـ « طلب اليهود العبيد أن يسمح لهم الفرعون بمغادرة مصر ، فلما رفض أنزل الله هذه العقوبات بالبلاد .. وفى كل مرة كان موسى عليه السلام يطلب أن يسمح له ولليهود بالخروج ، لكنه كان يقابل بالرفض أو القبول ثم الرفض .. "

ثم تنهد وقال :

ـ « لا تقل لى إن هذه الأحداث تتكرر من جديد فى قرية مصرية اليوم .. »

قلت بنفس لهجته :

ـ « ولا تقل لى إنها صدفة ، فالصدف ليست بهذا السخاء على قدر علمى .. »

ثم نهضت ووضعت يدى فى خاصرتى لأبدو مؤثرًا وخطيرًا ، وقلت كأننى (بوارو) فى ختام إحدى قصص أجاثا كرستى :

ـ « الأمر يحمل رائحة واحدة.. ذات الرائحة التى تفوح من مومياء سمنخارع ومقبرتك رقم 55 .. يخيل لى أن بوسعنا ربط الخيطين معًا .. »

ـ « جميل جدًّا .. قل لى الرابط بينهما .. »

قلت فى حماس :

ـ « الرابط بينهما .. هذا واضح تمامًا .. إنهما .. إنهما ... »

ثم لم أجد ما أقول .. وشعرت بأنى أبله ، فقال هو ليريحنى :

ـ « الجو الفرعونى .. الشكوك التى تنتاب البعض حول كون أخيناتن هو سيدنا موسى أو هو فرعون موسى .. طبعًا هذا كلام فارغ .. لو جربت أى منطق لوجدته لا يستقيم . فقط هناك تشابه سطحى بين القصتين .. »

ثم نظر لساعته وأعلن أن وقت الرحيل قد جاء .. كنا فى مكتبه وقد عرض أن يوصلنى لدارى فقبلت . لم يدعنى على الغداء لأنه فيما يبدو أدرك أننى سأقوده للخراب لو أكلت عنده يوميًّا ..

ركبت جواره فى السيارة ، وكان قد زودها بإضافات خاصة بالمعوقين .. ليست حاله بهذا السوء لكن ساقه واهنة بلا شك ..

انطلق فى الشارع الطويل الذى يقودك خارج الكلية.. وأبطأ قليلاً عند إحدى البوابات ..

هنا سمعت من يفتح الباب خلفى وصوت فتاة يصيح فى لهفة :

ـ « د. رمزى !... انتظرتك طويلاً .. »

استدار للخلف وهتف إذ رأى الحسناء التى ألقت بنفسها فى المقعد الخلفى :

ـ « يا للمفاجأة !.. أقدم لك يا رفعت .... »

قلت مقاطعًا دون أن أنظر للخلف :

ـ « ريهام طبعًا .. أنا لست بهذا الغباء .. »

ـ « وكيف عرفت ؟ »

ـ « لأننى عبقرى .. عندما يكون الفيلم من بطولة الفنانة فلانة ، ولا تظهر طوال الفيلم سوى أنثى واحدة ، فلا يجب أن تكون عبقريًا كى تخمن أنها الفنانة فلانة .. »

لم تفهم ريهام أسلوبى الملتف كما هو واضح .. رمزى يفهمنى على كل حال ، وقد ضحك ضحكته الخافتة المكتومة ، ثم كلم الفتاة عبر مرآة الرؤية الخلفية :

ـ « سأكون شاكرًا لو فسرت لى طريقة الظهور الدرامية هذه .. »

أعتقد أنها نظرت لى فى شك .. لم أر نظرتها لكنه رآها فقال :

ـ « خذى راحتك .. د. رفعت هو أنا أو أكثر .. دعك من أننى أعتمد عليه كثيرًا فى حل المشكلة التى أهديتها لى .. »

قالت وهى تشهق :

ـ « أعتقد أنهم يراقبوننى .. لم يكن من الممكن أن أظهر فى الكلية بهذا الوضوح .. أؤكد لك أنهم لا يمزحون ! »

• •

- 8 -

فى الطريق حكت لنا (ريهام) كل شىء .. كل شىء منذ ركب أخوها الدراجة فى ذلك اليوم ، وحتى قطعت الحبل المتدلى من السطح . ومع سردها استطعت أن أجمع شتات القصة معًا ...

قالت وهى ترتجف :

- « كل شىء يقول إنهم يريدوننا .. والسبب .. على الأرجح لأن (سامح) رأى أكثر من اللازم .. أو هم يعتقدون أنه يعرف كل شىء عنهم .. »

سألتها محاولاً أن أجعل صوتى هادئًا قدر الإمكان ، كأننى أخاطب جوادًا جامحًا :

- « وأين تقيمين الآن ؟ »

- « فررنا فى الليل إلى بيت عمتى .. لا أعتقد أنهم قادرون على أن يجدونا هناك .. لكن حياتنا قد تلفت بالكامل .. لا آمن أن يذهب سامح لدروسه . أخشى أن آتى إلى الكلية .. إن هذه الفتاة (يارا) لا تبدو بريئة جدًّا .. هذا الاهتمام المفاجئ بحقيبتى مريب .. »

دار د. رمزى فى ذات الاتجاه للمرة الألف .. لابد أن عجلات سيارته توشك على أن تذوب من فرط ما قطعته من كيلومترات فى هذه الساعة ..

سألها :

ــ « لِمَ لا تبلغين الشرطة ؟ »

توليت أنا الإجابة هذه المرة :

ــ « لأن هذه القصة الغريبة عن جماعة سرية وفتاة تفتش دفاترها وسيارة تحاول دهم أخيها ، تبدو معقدة جدًّا .. على الأرجح سيقومون بتحرير محضر ويملئون بعض الأوراق ، لكن لن يصدقها أحد .. إن الشرطة لها درجة تحمل معينة ، بعدها تعتبرك مجنونًا .. أليس كذلك يا ريهام ؟ »

ونظرت فى المرآة فرأيتها تهز رأسها بسرعة بمعنى أنها موافقة ..

قال د. رمزى وهو يدور من جديد بالسيارة :

ــ « وما الحل ؟.. هذا الوضع لن يدوم للأبد لو كنت تفهمين قصدى ؟ »

ـ « لا أعرف .. لا أعرف .. »

كانت تهز رأسها معلنة عن عاصفة الهستيريا القادمة .. سوف يسيل المخاط من أنفها ، ثم تبدأ طوفان الدموع ... قلت على الفور :

ـ « أولاً نريد أن نرى ذلك البيت الذى رآه أخوك الصغير .. »

* * *

سألت د. رمزى :

ـ « هل تعتقد أنهم ما زالوا بالبيت ؟ »

ـ « مستحيل طبعًا .. »

كنا جالسين فى السيارة .. الليل على الأبواب ، ومن بعيد يجثم ذلك المبنى الذى عرفه (سامح) فى ذلك اليوم .. كان يتسربل بالظلال كأنه يقول لنا : أنا مكان مخيف .. لا تساورنكم الظنون أو تتجاسروا على التمادى ..

فى المقعد الخلفى كان ذلك الصبى المزعج (سامح) ، وكانت (ريهام).. عرفت على الفور أنه مزعج فأنا شديد الحساسية

تجاه الصبية .. أشعر نحوهم بما يشعر به جسمان عليهما شحنة استاتيكية واحدة .. التنافر الأكيد الذى لا شك فيه ..

كان رمزى قد بذل جهدًا عظيمًا حتى تمكن من أن يجد طريقًا يهبط ذلك المنحدر .. وأخيرًا تقف السيارة وسط مساحة خالية وعرة من الأرض ..

كان يفكر بعمق.. ثم سأل الصبى :

ـ « ما الجملة التى كان الطارق يقولها فى كل مرة ؟ »

حاول سامح التذكر .. حك رأسه فى تركيز :

ـ « لا أذكر بالضبط .. ربما .. المجد للقادمين من كونو .. »

قال د. رمزى فى إصرار :

ـ « أعتقد أن الاسم كان (أيونو) .. هه ؟ »

ـ « نعم .. نعم .. المجد للقادمين من أيونو »

قال رمزى مفسرًا :

ـ « أى هليوبوليس .. الاسم المصرى القديم للمدينة كان إيونو.. هليوبوليس معناها مدينة الشمس . حاليًا هى (عين شمس) .. »

تساءلت :

ـ « هل تعنى أن هؤلاء الأخوة جاءوا جميعًا من عين شمس ؟ »

ـ « لا أعرف أى شىء .. لا أعرف من هم ، لكن مجرى الأحداث يقول إنهم قادمون من هناك .. »

لم أعرف من قبل أن القادمين من عين شمس يكونون خطرين لهذا الحد ..

الآن جاءت ساعة الحقيقة .. هل ندخل البيت ؟.. وماذا نجنيه من ذلك لو فعلنا ؟

أنا أؤمن بأهمية الدخول .. لو كان هؤلاء القوم موجودين فلسوف نعرف شكلهم وربما جنسيتهم (ثمة شىء يوحى لى بأنهم أجانب) ، ولو لم يكونوا موجودين فهم بالقطع قد تركوا شيئًا ما يدل عليهم ..

أخبرت رمزى بخواطرى فرأى أنها منطقية جدًّا ..

ثم إنه جلس وأراح كفيه على المقود وطفق ينتظر ..

قلت له فى غباء :

ـ « ماذا تتوقع ؟ »

ـ « أنتظر أن تذهب وتعود لنا يا أخى .. إنها فكرتك .. »

تصاعد الدم إلى رأسى .. وقلت له فى غيظ :

ـ « أنت خبير المصريات الوحيد هنا . لو وجدنا جدارًا عملاقًا امتلأ بنقوش بالغة الأهمية ، أو لو وجدنا تمثالاً يدل على كل شىء ، أو لو فتح سمنخارع الباب لنا شخصيًا ، فمن تظنه سوف يفهم ذلك ؟.. إنه أنت .. »

فكر فى كلامى ، ثم تنهد والتفت إلى ريهام وأخيها وقال وهو يفتح الباب :

ـ « يبدو هذا الكلام منطقيًا .. سوف أجرب حظى مع رفعت . أنتما فى أمان هنا .. لا تغادرا السيارة لأى سبب .. »

هتفت الفتاة فى جزع :

ـ « أرجوك .. أرجوك يا د. رمزى أن تعنى بنفسك .. عد سالمًا ! »

كانت الرسالة واضحة ... عد سالمًا وليذهب هذا الكهل الأصلع النحيل إلى الجحيم ... فليمت ألف رفعت كى تبقى أنت سليمًا بلا خدش .. حاضر يا آنسة ريهام .. سأحاول أن أنفذ طلباتك ..

- 9 -

تعال معى يا رمزى .. أعرف أن الأمر عسير بهذا العكاز ، لكنى لست ذا لياقة عالية كما تعرف ..

احترس !

هذه جثة كلب متعفنة ملقاة على بعد أمتار من البيت .. جثة متحللة لا تسر الناظرين ، ولا أعرف السبب .. إن الكلاب تموت وتتحلل لكن هناك شيئًا لا يروق لى فى هذه الجثة ..

حاول ألا تطيل النظر وتعال ننفذ خطتنا ..

فلندق الباب ..

طاخ طاخ !

نعم .. أنا مثلك أرجو ألا يرد أحد .. لو رد أحد لزعمنا أننا نبحث عن دار (سيد الشماشرجى) .. لماذا هذا الاسم ؟.. لأنه المعلم الذى يعطى دروسًا لسامح ويقع بيته أعلى هذا المنحدر..

طاخ طاخ !

لا صوت لكلاب تنبح .. على الأقل لم يطلقوها كما كانوا ينذرون ..

ولكن .. ماذا تفعل ؟.. تدفع الباب الخشبى الثقيل ؟.. لا تفعل ذلك.. إنه غير مغلق .. أرجوك ألا تحاول الدخول ..

تبًا لك ولاندفاعك ..!.. إنك تدخل فعلاً .. هذا سلوك غير مناسب حتى مع هؤلاء الأوغاد ..

ـ « اسمع .. واضح أنه لا يوجد أحد .. فلنعد ! »

لكنك لا ترد يا رمزى بل تدخل إلى المدخل الرطب وتتشمم الهواء . إن الإضاءة خافتة جدًا هنا .. هناك ممر طويل والكثير من الغرف على الجانبين . هذه بناية غير مخصصة للناس بل واضح أنها كانت مخصصة لأسرة واحدة ..

تضرب الأرض بعكازك وتنظر يمينًا ويسارًا ثم تصيح :

ـ « **يا أهل الله !** »

كمبرر أخير لهذا التسلل .. ثم تواصل المشى وأنت تمط عنقك يمينًا ويسارًا .. توارب كل باب قليلاً لتلقى نظرة .. هناك الكثير من الصناديق المكومة الفارغة .. هناك قطع أثاث ملقاة كيفما اتفق .

إن الأمر واضح ..

لقد رحلوا لأنهم لم يريدوا المخاطرة .. لا يعرفون قدر ما عرفه الصبى ، لكنهم عرفوا جيدًا أنه كان هنا وسمع بعض محادثتهم .. هيا نرجع ونتصل برجال الشرطة .. هم فقط يقدرون على معرفة اسم من كان هنا ويقدرون على متابعته ..

أنت تواصل المشى ثم تفتح بابًا كبيرًا ..

فى الضوء الخافت يمكننا أن نرى قاعة واسعة .. هناك مائدة طويلة تتناثر حولها المقاعد .. لا شك فى أن الاجتماع كان يدور هنا بين القادمين من أيونو وذلك الذى كان يتكلم ..

الآن نرى أول دليل على شىء غريب ..

هناك على الجدار قطعة من نحت جدارى .. النحت الذى يظهر أخيناتن وبناته يعبدون الشمس .. هذا النحت موجود بالمتحف المصرى فعلاً ويبدو أن هذه نسخة تالفة منه .. ربما لم يكن أصليًا وإلا لما تركوه ..

تشير لى يا رمزى إلى النحت كأنه من الممكن ألا أراه ..

هناك كذلك زجاجة وقود كبيرة وكومة من أوراق محترقة .. هذا سلوك القوات التى تغادر قواعدها لدى قدوم الأعداء .. لا يمكن أن تنقذ شيئًا من كومة الرماد هذه .. لقد حرقوا الكثير من وثائقهم ..

ثم إنك تغادر القاعة وتواصل المشى فى ممر آخر ...

أما أنا ففضلت أن أقترب أكثر من النحت .. لست خبيرًا لكن أعتقد أن هذا النحت أصلى .. له ذات الروعة والهيبة المميزتين لتراث الفراعنة .. حتى وهى مهدمة تبدو هذه الآثار أكثر هيبة.. لقد رأيت تمثالى ممنون فى الأقصر بشكلهما المشوه الرهيب ، وبدا لى أنهما بهذه الصورة أجمل ...

منذ متى رحل هؤلاء وأين هم الآن ؟.. الأمور تزداد تعقيدًا ...

هنا شعرت بتلك اليد تعتصر عنقى من الخلف ..

* * *

تراجعت للخلف وتملصت بصعوبة واستدرت ...

كان هذا هو أبشع وجه رأيته تقريبًا ...

بدا لى مغطى بالكامل بالحراشف حتى ليذكرك بثمرة التين الشوكى قبل تقشيرها .. العينان حمراوان ومن الواضح أنه يعانى التهابات عديدة فى الأغشية المخاطية ...

كان يزأر بلغة لم أعرفها .. عندما أتذكرها الآن أدرك أنها لا تحمل طابع أية لغة أعرفها ، حتى اللاتينية نفسها ...

يلبس معطفًا طويلاً وقفازين ، ومن الواضح أنه قوى فعلاً .. أو هو على الأقل مجنون .. الجنون منحه قوة غير مفهومة ..

ومن جديد انقض علىَّ .. لكنى لم أستطع المقاومة كثيرًا .. كان همى الأكبر هو أن أبقى أنفاسه بعيدة عنه فمن أدرانى أنه ليس معديًا ؟؟؟

كان يهاجم ليقتل .. أدركت هذا على الفور .. لا يهاجم ليوقفنى عند حدى أو ليسلمنى للشرطة ..

أين أنت يا رمزى ؟

ماذا تفعله طيلة هذا الوقت وماذا فعلوا بك ؟

سمعت صوت الارتطام وخفّت قبضة هذا الوغد على عنقى .. ثم سمعت ارتطامًا آخر . وعندما نهض عنى أدركت أن ما خمنته صحيح .. هذا عكاز (رمزى) قد هوى على رأس المسخ مرتين ..

لم يقهره هذا لكنه تركنى على الأقل ..

نهضت لأجد رمزى يقف فى ضوء قاعة الاجتماعات الخافت وهو يتراجع بظهره للخلف ، ويرفع العكاز كأنه رمح .. سلاح قاتل فعلاً ، لكن المهاجم لا يعبأ به البتة .. إنه ينهض مترنحًا ويمشى نحوه بذات الإصرار الذى يمشى به الزومبى فى أفلام الرعب ..

يقول رمزى :

ــ « تراجع .. أنا لا أريد أن أؤذيك ! »

لا أعرف كيف سيفعل .. ثم فهمت ..

لقد كان يحمل زجاجة الوقود الذى أدركت من رائحته أنه كيروسين .. وعرفت من الرائحة أنه قذف بالسائل فى وجه مهاجمى .. لكن المهاجم كان لا يعبأ بهذا الكلام .. كان يواصل التقدم ..

وفى يد (رمزى) رأيت تلك القداحة المشتعلة يتراقص لهبها ..

ــ « تراجع .. أنا أنذرك للمرة الأخيرة .. »

لا تفعل يا رمزى .. أرجوك !... ربما لو اجتمعنا معًا لاستطعنا أن ....

هنا انقض المهاجم على رمزى .. كانت وثبة طويلة كوثبات الفهود .. بالطبع لم يستطع د. رمزى أن يبعد القداحة عن الجسم المهاجم ، وفى لحظة رأيت شعلة من النار تضيء القاعة كلها ...

بالتأكيد ليس مجرد كيروسين .. على الأرجح هو خليط من الكيروسين والبنزين ، لأن هذا الأول لا يشتعل بهذه السرعة والجموح ...

كان رمزى يرتجف وهو ينظر لألسنة اللهب المتطايرة .. هو لم يتوقع أن تبلغ الأمور هذا الحد ... ارتمت شعلة النار الحية على المنضدة فتمسكت النيران بها هى الأخرى ..

صاح رمزى بى :

ـ « افعل شيئًا .. اطلب المطافئ .. الإسعاف ...! »

لكن المنضدة تهاوت بالجسد الذى كان فوقها.. وملأ الدخان القاعة .. رأيت أن الجسد قد همدت حركته تمامًا فعرفت أنه ما من شيء يمكن عمله ..

قلت لرمزى وأنا أجذبه من يده وأسعل بلا انقطاع :

ـ « سوف تزداد الأمور تعقيدًا .. يجب أن نفر من هنا .. »

لم يكن هناك شىء تتمسك به النار بعد ذلك .. سوف تلتهم النيران الغاضبة الجسد والمنضدة ثم تهمد نهائيًا .. لن تحترق البناية ..

هكذا رحنا نهرول فى الممر متجهين للمدخل ..

سألت رمزى وأنا ألهث :

ـ « هل يوجد أحد بالداخل ؟ »

ـ « لا .. ولا أعرف من أين جاء هذا .. »

كان الدخان يملأ الممر كله ..

فتحنا الباب وخرجنا .. هناك حيث العالم الخارجى الذى غلفه الظلام تقريبًا وقفنا نلهث ونلتقط أنفاسنا .. الهواء .. ما أثمن الهواء !..

أنت ترتجف يا رمزى .. يخيل لى أنك توشك على الإصابة بنوبة قلبية .. فقط أعرف أن قلبك سليم ..

تردد بلا توقف :

ـ « لقد احتـرق !.. أنا أحرقته !.. لم أتوقع للحظة أن المجنون .... »

أقول لك :

ـ « أنت قلتها بنفسك .. أنت لم ترد هذا وهو كان فى حال غير طبيعية .. إما أنه فى ذروة الهلوسة الناجمة عن المرض Delerium أو هو تحت تأثير عقار ما .. لم يكن طبيعيًا على الإطلاق .. دعك من أننا لا نملك القوة اللازمة لقهره .. لقد فعلت أنت الشىء الوحيد الممكن .. »

ثم أنظر حولى وأجذب يدك ..

ـ « تعال نعد للسيارة .. يجب أن نغادر هذا المكان حالاً ... ليتنا ما دخلنا .. ليتنا ما دخلنا ! »

هنا تنظر أنت لجثة الكلب التى رأيناها لحظة الدخول وتهتف :

ـ « هل ترى هذا الجلد؟.. له نفس المنظر !.. لو كان هذا مرضًا فقد أصيب الكلب بنفس العدوى ! »

حقًا معك حق .. لكن لا وقت للتفكير .. ولا وقت لأخذ الجثة معنا لتشريحها . يجب أن نهرع للسيارة ونبتعد .. لو جاء زملاء القتيل لفتكوا بنا ، ولو جاءت الشرطة لاعتقلتنا .. نحن بطتان ميتتان فى كل الظروف ...

كانت حملة مثيرة للشفقة .. نحن فى الظلام. نهرع نحو السيارة .. عجوز يسعل موشكًا على دخول العناية المركزة ، وكهل يتوكأ على عكاز ولا يكف عن البكاء .. ليس أروع مشهد ولا أفضل أبطال لأفلام الأكشن كما ترى ..

لما دنونا من السيارة ووجدناها خالية وأبوابها مفتوحة ، خطر لى أننا كنا حمقى ..

البيت كان مراقبًا برغم كل شىء ...

- 9 -

بعد عدة دورات حول البيت أدركت أنه لا أثر للفتاة ولا أخيها .. حتى إننى خاطرت بالعودة وتفتيش الغرف من جديد وسط كل هذا الدخان ..

كان قد خطر لى أنها قامت بأحد التصرفات الغبية الشهيرة التى يقومون بها فى أمور كهذه ، كأن تقرر منفردة أن تستكشف أو تبحث عنا .. خطر لى كذلك أن الصبى شعر بحاجة للتبول ولم تستطع هى المخاطرة بتركه يذهب وحده .. كل الصبية يحتاجون للتبول فى أسخف وقت ومكان ممكنين .

للأسف لا يبدو أن هناك أملاً فى ذلك .. تمنيت أن يكون الصبى سخيفًا فلم يحدث . درت حول البناية عدة مرات ، ولاحظت أن المنطقة المحيطة بها وعرة فعلاً .. لكن لا أثر للفتاة ..

هكذا عدت لدكتور رمزى وطلبت منه أن ننطلق .. لن نجدهما بهذه الطريقة ، خاصة أننا أضعنا هنا نصف ساعة إضافية ..

انطلقت السيارة بينما هتف رمزى فى جنون :

ــ « هل انشقت الأرض وابتلعتهما ؟ »

قلت لاهثًا :

ـ « القصة واضحة . هناك من رأى السيارة تتوقف أمام البيت ونحن ندخل .. لحق أحد هؤلاء المشوهين بنا ، بينما هاجم آخرون السيارة وخطفوهما .. »

راح يفكر للحظات ، ثم أطلق أنينًا من بين شفتيه :

ـ « الأم التى تنتظر والتى لا نعرف أين هى .. »

قلت وأنا أنظر إلى الخلف :

ـ « هناك جوانب كثيرة رائعة للموضوع ، ولسوف نستعرضها فيما بعد .. أما الآن فلا شك أننا يجب أن نبتعد .. هذه القصة حقيقية وليست خيال فتاة .. وما أعرفه شىء آخر أكيد .. »

وأغلقت زجاج النافذة وأضفت :

ـ « لقد تجاوز الأمر عالم الهواة .. لابد أن نطلب الشرطة .. »

* * *

رحب بنا الرائد (محمد خيرى) وجلس يصغى للقصة الغريبة ، وكان عمليًّا كدأبه فراح يوقع بعض الأوراق وهو يصغى ..

لم نكن قد التقينا منذ قصة الطوطم إياها ، وقد نال ترقية بعدها .. وكنت أثق بهذا الرجل كثيرًا بعد ما أدركت أنه ذكى فعلاً كمعظم هؤلاء الذين لا يتكلمون ولكن يصغون . هو يحب عمله كذلك ، ولنفس السبب لم أتصل بصديق عمرى (عادل)..

ظل المقدم يصغى والسيجارة تتدلى من فمه ، ثم حك رأسه وفك ربطة عنقه وسألنى :

ـ « ليكن يا دكتور .. عم تريد أن تبلغ بالضبط ؟.. عن أوبئة تحدث فى قرية أم عن جماعة سرية أم عن اختفاء طالبة ؟ »

قلت فى ارتباك :

ـ « كل هذا لو أمكن .. لكن الشىء الذى يمكن الإمساك به هو اختفاء الفتاة وأخيها .. »

ظل ينظر لى فى ثبات كعادته ثم قال فى سخرية :

ـ « كالعادة كل قضاياك غريبة محيرة .. لو لم أر ذلك الطوطم يفتك برجالنا لما صدقت حرفًا ، وهذا هو السبب الذى يدعونى للاهتمام بما تقول .. »

ثم شمر عن كم قميصه وأخرج رزمة أوراق وقال :

ـ « أريد معلومات كاملة .. سوف يجد رجالنا عنوان عمة الفتاة ويجدون صديقتها تلك ... »

قال د. رمزى فى عصبية :

ـ « يجب كذلك أن تعرفوا من صاحب البناية ومن كان يقطنها بالضبط .. أعتقد أنه لابد من تفتيشها .. »

ثم أضاف مرتبكًا :

ـ « تلك الجثة المحترقة .. إنها مصابة بمرض ما .. لابد من تشريحها .. »

قال الرائد باسمًا وهو يكتب بسرعة :

ـ « الكثير من العمل .. الكثير جدًّا .. »

قلت له فى حذر :

ـ « لا أريد أن أشغلك .. لكننا بحاجة إلى جلسة عصف أفكار... »

نظر لى فى عدم فهم :

ـ « عصف أفكار ؟ »

ـ « نعم .. ماهر ذلك الكيميائى الذى أوفدته الوزارة .. نريده أن يكون معنا .. سوف نطرح الاحتمالات والأفكار فى جلسة واحدة .. »

قال فى استخفاف وهو ينقر على المكتب بأنامله :

ـ « كل هذا من أجل اختفاء طالبة لمدة ساعتين .. ألا ترى أنك تبالغ قليلاً ؟ »

قلت بلهجة لا مزاح فيها :

ـ « لربما تبين أننى أتعامل مع الأمور بخفة زائدة .. تذكر قائمة الأوبئة التى أصابت مصر .. إنها تتضمن الظلام وموت أول مولــود لكــل أسرة .. لو كان للأمرين علاقة ببعضهما فأنا لا أبالغ على الإطلاق ! »

الجــزء الثـالـث

وفيه حديث مسلٍّ عن محصلى الكهرباء والطحالب وعزبة النخـل ، وما دمنا قـد تطرقنا لهذا الموضوع فلا بأس بالكلام عن إدمـان (الداطـورة) ، والتيـن الشـوكى ومنظار الغواصة ..

- 1 -

كانت المجلة تحوى تحقيقًا صحفيًا مطولاً عن عبدة الشمس الذين جاءوا من أرجاء العالم من أجل أعياد الشمس ، واجتمعوا فى الهرم الأكبر .. كان عددهم نحو ثلاثين ، وقد حملوا الكثير من الأعـــلام وشعارات إله الشمس .. كان معهم أثناء احتفالاتهم ضابطا أمن عاليا الرتبة للتأكد من أن احتفالاتهم تتم بسلام(*) .. كانت هناك صور كثيرة وبدا غريبًا لى أن أرى طقوس الاحتفال بالإله آتون فى القرن العشرين.. كل هؤلاء القوم يرفعون أيديهم نحو شعاع الشمس المتسربة إلى الهرم الأكبر ، ويأتون بطقوس تشبه التى نراها على الجدران .. طبعًا ان أشرح كل التعقيدات الخاصة بأوقات دخول الشمس إلى الهـــرم أو إلى غرفة دفن الفرعون – لا أذكر بالضبط – لأننى لم أفهمها قط ..

المهم فى الأمر أن ضابط الشرطة قدم هويته لرئيسة الجماعة (الكاهنة الكبرى) فتفحصته ثم قالت :

– « قبلناك أخًا .. »

أين سمعت هذه العبارة من قبل ؟

(*) تم هذا فعلاً ..

إذن هناك عبدة شمس مازالوا يمارسون الطقوس كما مارسها العمارنة ، وهم موجودون فى مصر الآن أو كانوا موجودين .. إن هذا مغرٍ جدًا ..

هكذا حملت المجلة معى إلى الاجتماع الذى عقده لنا الرائد (محمد خيرى) فى مكتب د.(رمزى) بكليته ..

كان الليل قد حل ، لذا كان المكان خاليًا من البشر تقريبًا ...

كان الجالسون هم أنا و د. (رمزى) والرائد و(ماهر) نفسه .. وقد ابتاع ماهر بعض الشطائر لنا فى الطريق ، بينما أعد (رمزى) الشاى بنفسه ..

لقد بدأت صداقة خافتة تنعقد بيننا برغم أن معظمنا لم ير الآخرين من قبل .. يمكن القول إننى المضاعف المشترك الأكبر بين هؤلاء والوحيد الذى يعرف الجميع ..

بدأت الكلام ملوحًا بالمجلة :

ــ « إن وفـدًا من عبـدة الشمس موجود فى مصر الآن .. ألا يبدو هذا غريبًا ؟ »

قال الرائد وهو يتناول المجلة ويقلب صفحاتها :

ـ « غريب فعلاً ..سوف أتحرى عنهم للتأكد من أنهم ما زالوا موجودين .. »

قال رمزى :

ـ « عامة نحن نفكر فى الشىء نفسه .. جماعة سرية من عبدة الشمس تحاول إحياء طقوس سرية .. غالبًا تحاول كذلك إحياء مومياء سمنخارع . نحن لا نعرف ما يعرفون ، ومن الواضح أنهم وجدوا أشياء مهمة فى المقبرة رقم 55 .. هم يتحركون على أساس هذا الذى وجدوه . يمكن لنا أن نفترض أن لهذا علاقة بالأوبئة التى حلت بتلك القرية المصرية المعذبة . استقرت الجماعة فى بيت منعزل على أطراف القاهرة ، لكن ما حدث هو أن صبيًا مزعجًا نجح فى التسلل للداخل .. هكذا كان على أفراد الجماعة الخلاص منه ومن أسرته ، كان من حظهم الحسن أنه ترك كراسًا به عنوانه ومدرسته . لا شك أن معهم مصريًا يجلب لهم المعلومات كذلك .. هنا يكتشفون شيئًا مريبًا : أخت الصبى تدرس الآثار .. هذا يدفعهم لدس فتاة اسمها (يارا) تتجسس عليها . فى النهاية تقرر الجماعة أن تغير مقرها لكنهم يتركون من يراقب المقر القديم.. نصل أنا ورفعت والفتاة فى

سيارة .. هكذا يرسلون من يهاجمنا ، ويخطفون الفتاة وأخاها .. على الأرجح هم لن يؤذوا الفتاة وأخاها حتى يعرفوا ما يعرفان .. إن دراسة الفتاة للآثار تجعلهم مرتابين فى أنها على اتصال بجهات أعلى .. يمكن القول بلا خطأ كبير إنهم سيجدوننى .. إن العثور علىَّ سهل ، لكن الفتاة لا تعرف شيئًا عن رفعت .. »

حمدًا لله !.. قلتها لنفسى فى سرى .. أما رمزى فانتهى من الكلام فرشف رشفة من الشاى .. الحق أنه تغير كثيرًا .. فقد الكثير من مرحه المعتاد وصار أقرب للتوتر والإرهاق ...

قال الرائد باسمًا :

ـ « أنت لخصت الأمـور جيدًا جـدًّا ، وأعتقد أن هذا هو المنطلق الذى نتحرك منه .. لكنى أريد أن أسـأل الأستاذ ماهر عن رأيه فيما رآه فى تلك القرية .. قلت ما اسمها ؟ »

ـ « أطفيس .. »

ـ « سأحاول تذكر هذا الاسم الغريب .. والسؤال الذى أريد أن ..... »

هنا دق الباب وانفتح دون ان ينتظر القادم ردنا ..

رأينا عاملاً من عمال الكلية يحمل عصا وقد توتر وبدت عليه الدهشة ، فلما رأى د. رمزى هدأ قليلاً وهتف :

ـ « الدكتور هنا ؟.. رأيت الضوء فحسبت هناك لصوصًا .. انا آسف .. »

ـ « لا مشكلة يا عبد الخالق .. لم أخبر أحدًا بأننى آتٍ ليلاً .. »

قال العامل وهو يمسك بمقبض الباب ليعيد غلقه :

ـ « كان هناك من سأل عنك عصرًا .. رجل فارع الطول يلبس معطفًا .. بدا لى هذا غريبًا.. يتكلم كأنه أجنبى . لما لم يجدك طلب منى عنوانك .. »

قال رمزى فى سعادة :

ـ « وأعطيته له ؟ »

ـ « طبعًا يا دكتور .. نحن نحب أن نسدى إليك أية خدمة ! »

ثم خرج وأغلق الباب ، بينما تبادل رمزى والرائد النظرات .. حدث ما هو متوقع .. إن مصر مليئـــة بمن يتطوعون للخير ، لكن هذا يعنى أن الفتـــاة كانت حيـــة وتتكلم عصر اليوم .. لقد

ذكرت اسم ومقر عمل د. رمزى .. وسرعان ما جاء رجل متحمس يبحث عنه ..

عاد الرائد يتكلم وقد تضايق نوعًا لهذه المقاطعة :

ـ « ما نعرفه هو أن تلك الأوبئة كانت عقاب الله لفرعون مصر على إساءة معاملة اليهود .. السؤال هو : كيف يمكن أن تتكرر هـذه الأوبئـة إذن ؟.. هل هذا الذى يحدث فى أطفيس ذو معنى دينى ، أم هناك من يستعرض قدراته على عمل مؤثرات خاصة ؟ »

هنا دق جرس الهاتف فى إلحاح ..

رفع د. (رمزى) السماعة متضايقًا وراح يصغى ... كل كلمة كانت تضيف تجعيدة على جبينه حتى تحول هذا الجبين إلى ورقة فرغ من مضغها كلب مسعور .. وكان لونه يشحب حتى صار بلون هذه الورقة ..

ـ « ماذا ؟.. لا .. لا تفتحى الباب .. لا تفتحيه بأى ثمن !... أنا قادم ! »

ثم وضع السماعة فلم يحسن التصويب مرتين ، وهب واقفًا :

– « مارى زوجتى وحدها فى الشقة .. تقول إن هناك من يدق بابها بإلحاح .. يوشك على أن يقتلع الباب من مكانه . وكلما سألت عن الطارق لم يرد !.. يجب أن أذهب إليها حالاً ! »

ـ 2 ـ

أوقفه الرائد (محمد) بيده :

ـ « لا داعى .. سوف تضيع الكثير من الوقت .. ما هو عنوانك ؟ »

ثم تناول الهاتف فطلب رقمًا .. وبعد قليل جاءه من يتساءل عن المتكلم . كان هذا زميلاً له فطلب منه أن يرسل من يتحقق من الأمور فى بيت د. رمزى ، وذكر له العنوان ..

ـ « أريد سرعة بالغة .. لو كان تصورى للأمور دقيقًا فمن الوارد أن يتم اقتحام البيت على السيدة .. هيا .. خذ رقم الهاتف لتطلبنى وتخبرنى بما تم .. »

ثم وضع السماعة وناول الهاتف لدكتور رمزى وقال :

ـ « هل لديكما أقارب ؟.. اتصل بزوجتك وقل لها أن تتأهب للانتقال عندهم بعض الوقت .. سيارة الشرطة سوف تنقلها .. »

تناول رمزى الهاتف واتصل بزوجته ، وقد بدا عليه الإعجاب بهذا الحل العملى ..

ظللنا صامتين ننتظر ما سيحدث ..

لقد تصرفوا بسرعة فائقة فعلاً ... لكن الشرطة تصرفت بسرعة كذلك ..

دق جرس الهاتف فوثبنا جميعًا لنرد .. ولكن الرائد التقط السماعة قبل الجميع ووضعها على أذنه .. أصغى قليلاً ثم قال :

ـ « من ؟.. محصل كهرباء ؟.. ومنذ متى يمر محصل الكهرباء على البيوت ليلاً ، ومنذ متى يوسع الأبواب ضربًا ولا يرد على من يسأل بالداخل ؟.. تقول إنه غبى ؟.. ربما .. لكنه أغبى مما يجب .. لا تترك هذا الحمار يذهب قبل أن تتأكد من شخصيته .. »

ثم وضع السماعة وتنهد فتنهدنا جميعًا ...

قال د. رمزى وقد استرخى تمامًا :

ـ « من الواضح أن حياتى ستكون كلها تكرارًا لهذا السيناريو .. »

ـ « لن تبقى الأوضاع بهذا الغموض للأبد .. »

ومن جديد نظر الرائد إلى ماهر يستعيده إجابة السؤال ..

* * *

قال (ماهر) وهو يتحسس رأسه الأصلع الذى أزال بالموسى كل شعرة فيه :

ـ « طبعًا لدينا التفسير الدينى لما حدث ، فالله قادر على كل شىء ، ويكفيه أن يقول : (كن فيكون) .. لكن هناك تفسيرات لا دينية حاولت أن تجد منطقًا لهذه الظواهر ، وهذه التفسيرات سوف تفيدنا الآن لأنها ترينا كيف يمكن إعادة تقليد هذه الكوارث .. أولاً ـ وليصحح د. رمزى أخطائى التاريخية ـ وقعت هذه الأحداث نحو عام 1260 قبل الميلاد .. »

قال د. رمزى :

ـ « بعد عشرة قرون على بناء الأهرام.. فعلاً .. »

ـ « بدأت هذه الأوبئة بتحويل النيل إلى دم .. ومن الواضح أن هذا حدث فى مصر كلها .. قال بعض العلماء أن ماء النيل احمرّ بسبب أتربة بركانية .. الواقع أن هذا هو الوقت الذى ثار فيه بركان سانتورينى فى اليونان وقد وجدوا غبارهِ فى النيل.. يمكن كذلك أن يحدث هذا بفعل الطحلب الأحمر ، و هو طحلب سام جدًا للأسماك كذلك .. »

قلت وأنا أدون ما قال :

ـ « إذن أنت تتهم الطحالب .. من يضع الطحالب فى الماء يمكنه أن يجعل لونها أحمر ويعطى نفس الإيحاء الأسطورى .. هذا شىء تستطيع المختبرات أن تبرهن عليه بسهولة .. ولكن ما زالت أمامك ألغاز كثيرة ... »

جفف عرقه وقال :

ـ « هناك شواهد بيئية على أن موت الأسماك يؤدى لتكاثر بيض الضفادع لأن الأسماك لا تلتهمه ، وفى حالات كثيرة غادرت الضفادع الماء ومشت على اليابسة ... »

ثم وضع علامة على قائمة يحملها وقال :

ـ « القمل يمكن نشره بالطريقة العادية كما يحدث مع أى حرب بيولوجية ، وكذلك الذباب .. أما عن موت الماشية فإن مرض الحوافر والفم احتمال وارد جدًا .. إنه ينتقل بالهواء ولدى موت البهيمة تجد رغوة بيضاء كثيفة تخرج من الفم والحوافر تتساقط ... هناك مرض آخر مرشح بقوة هو داء اللسان الأزرق ، وتنقله بعوضة صغيرة جدًا لا ترى ، وهى تحب المياه الراكدة

بشدة .. هذه البعوضة بالمناسبة تلدغ الإنسان ولدغتها مؤلمة جدًّا .. صحيح أنها لا تنقل المرض لكنها تؤدى لالتهابات عنيفة فى الجلد .. »

صحت فى انبهار :

ـ « وهذا يفسر الوباء التالى .. القروح .. »

ـ « أنت على حق .. لكننا نتوقف هنا أمام الوباء التالى : البرق والبَرَد .. لقد شهدت المنطقة عواصف بردية من قبل ، وكانت هناك عاصفة عنيفة فى الأردن عام 1967.. لكن لا يمكن لأى شخص أن يسبب واحدة .. ثم تلا هذا هجوم الجراد على أرض مصر .. هذه آفة أخرى لا أعتقد أنهم قادرون على إحداثها إلا بإمكانات حرب بيولوجية متقدمة.. وبعد ما هلك الزرع وجف الضرع ، جاء الجراد ليقضى على كل شىء .. وهذا قد يفسر الظلام الذى دام ثلاثة أيام .. ويقول الماديون إن الظلام نجم عن أتربة بركانية كثيفة من بركان سانتورينى بنفس منطق احمرار مياه النيل .. حسب التوراة لم يستطع الناس مغادرة منازلهم ولا رؤية بعضهم داخل المنازل ، كانت هذه بالطبع ضربة قوية جدًّا لعبادة إله الشمس رع . يمكننا أن نتخيل ما حدث فى مصر

وقتها ، بعد كل هذه الكوارث.. مليونان ونصف شخص يتخبطون عاجزين عن عمل شىء .. حتى القليل الذى لديهم دفنوه تحت الرمال ، ثم خرجوا ليكتشفوا أنه تلف تمامًا . لقد نما الفطر على الحبوب التى خزنوها ونتيجة هذا قاتلة .. قال من درسوا هذه الظواهر إنه من عادات المصريين فى ظلّ المجاعة أن يقدموا للابن البكر حصتين من الطعام ، ونفس الشىء بالنسبة للحيوانات ، فالابن الأكبر إذن ابتلع كميات كبيرة من الطعام الملوث مما تسبب بموته .. »

قال د. رمزى :

ــ « أعتقد أن هذه التفسيرات لا تخلو من تحذلق .. ما حدث أيام سيدنا موسى حدث بالقدرة الإلهية ، لكن لا أعتقد بتاتًا أن هناك بشريًا يمكنه تكرار هذه المشاهد .. »

قلت أنا موافقًا :

ــ « بالفعل .. يمكن أن ينجح الأمر حتى تملأ القروح الجلود .. بعد هذا لن يستطيع أحد التحرك.. كما إننى أشك أن تتضمن الأوبئة الظلام ما دام هؤلاء القوم من عبدة الشمس .. »

ساد صمت طويل .. ثم قال الرائد (محمد) :

ــ « الســؤال الآن هو : إلى أى حد تعتقدون أن ما يحدث ــ بطابعــه العبرانى القــوى ــ يشــير إلى أنامل إسرائيلية تتحرك هنا وهناك ؟ »

- 3 -

من المغرى للإسرائيليين أن تهاجم الأوبئة العشرة مصر ، وأن يتلقى المصريون عقابًا لا كأى عقاب .. إنه تدمير كامل للحياة فى مصر ، لكنى بصراحة لم أكن ميالاً إلى أن المخابرات الإسرائيلية لها أى دور فى القصة .. القصة معقدة أكثر من اللازم وسيناريو الجماعة الدينية المخبولة أقرب إلى المنطق والتصديق ..

ثم أتمنى أن أعرف كيف ينفذون خطوة الظلام أو خطوة موت الولد الأول ..

المشكلة أننا نفترض قوىً خارقة لدى المخابرات الإسرائيلية عندما نتوقع أنهم وراء كل شىء يحدث .. وأنا أستشعر فى هذا نوعًا من الإهانة ... الموساد جهاز محكم يتمتع أفراده بالكفاءة ، لكنهم ليسوا سحرة ..

عندما تفرقنا ، ذهب د رمزى إلى حيث كانت زوجته مارى عند أقاربها .. لن يعود لداره إلى أن تتضح الأمور ، وقد قرر رجال الشرطة أن تكون هناك حراسة شخصية لهما . من الوارد أن يتم اختطافه من مقر عمله ..

أنا والحمدلله لا يعرفنى أحد لذا عدت لدارى سعيدًا لأمارس متعة الشخص غير المهم ..

بحثت فى المكتبة عن كتابين .. الأول هو التوراة وبالذات سفر الخروج ، والثانى هو كتاب عن فترة العمارنة وتربعت فى الفراش ممسكًا بقلم لأضع خطوطًا ..

هل الفتاة وأخوها سليمان ؟... أرجو ذلك ..

هؤلاء القوم قساة بلا شك .. أقصد عبدة الشمس هؤلاء ، وقد تعلمت أن من تسيطر عليه فكرة دينية مجنونة يكون أقسى الناس طرًّا .. دعك من أننى أشعر بأنهم مرضى بداء معين .. أى أن التعامل معهم خطر فى كل الظروف ...

بعد ساعة من القراءة نهضت لأتصل بالرائد (خيرى) ...

جاء صوته المتضايق يسال عما هنالك كأنه يقول (ألم يعد مطلوبًا منى سوى قضيتكم هذه ؟) . فقلت له فى كياسة :

ــ « أعتقد أن عليكم البحث عن تجمعات أجانب أو أشخاص غريبى الأطوار فى منطقة (عين شمس) و(عزبة النخل).. وربما (المطرية) .. »

قال فى برود :

ـ « سيكون هذا رائعًا .. لكن هل لى أن أعرف السبب ؟ »

ـ « أيونو .. أى هليوبوليس .. المتكلم كان يرحب بالقادمين .. المفهـــوم مـــن كلامه أن كل هؤلاء القادمين جاءوا من أيونو .. لو أراد هؤلاء القوم الالتزام بالقصة حرفيًا فعليهم أن يقطنوا هناك .. »

ـ « لن يكون هذا سهلاً .. »

ـ « لا أحد سواكم يمكنه مسح هذه المناطق .. دعك من أن تواجد أجانب فى هذه الأماكن ملحوظ جدًا .. »

كاد يضع السماعة لولا أن تذكرت شيئًا فقلت فى حماس :

ـ « لحظة ... هناك علامة ستجدها على بيوتهم إن لم أكن أحمق .. سوف تجد على الباب لطخة من الدم ! »

ـ « دم ؟ »

ـ « دم حملان .. حسب التوراة قد كان اليهود يضعون هذه العلامة على بيوتهم كى لا يهاجمهم ملك الموت وهو ذاهب ليقتل أول

طفل فى كل أسرة مصرية .. أعتقد أنهم سينفذون هذا حرفيًا .. »
قال لى فى نفاد صبر :

ـ « هناك خلط بين عبادة الشمس واليهودية هنا.. هذا (عك) لا شك فيه .. »

قلت ببساطة :

ـ « قل لهم هـذا ولا تقله لى .. إنهـم يهتدون بإخيناتن ويعبدون الشمس لكنهم كذلك يعتبرونه هو سيدنا موسى ، وهذا هو منطقهم فى إعادة أوبئة مصر .. لهذا تجد ما يقومون به خليطًا من الاثنين ... لا تنس أن فرويد نفسه وقع فى هذا الخلط تقريبًا .. »

ـ « لا أعرفه ولا أريد أن أعرفه .. سأرى إن كان ما تقول صحيحًا .. »

ووضع السماعة ..

عدت للفراش وقررت أن أبحث عن تفاصيل أكثر ، لكنى لن أتصل به ثانية قبل الصباح لأنه نافد الصبر تمامًا ..

* * *

ترررررررررررررررن !

دق جرس الهاتف ليزلزل أعصابى .. نهضت مسرعًا لأرد على هذا الحيوان الذى يتصل فى الحادية عشرة صباحًا بدلاً من أن ينتظر النهار ... أنت تعرف أن نهارى يبدأ بعد الثالثة عصرًا ..

رفعت السماعة مغتاظًا موشكًا على الانفجار ، فجاء صوت (محمد خيرى) يقول :

ـ « صباح الخير يا دكتور .. انتظرت حتى تستيقظ ! »

ـ « لم تنتظر بما يكفى .. هل هناك كارثة ؟ »

قال فى فخر :

ـ « كان كلامك دقيقًا .. قبضنا على اثنين .. فى كل مرة كانت علامة الدم على الباب مؤكدة .. »

ـ « والأهم .. هل تكلم أحدهما ؟ »

ـ « لا .. أرى أن تأتى بنفسك لترى .. »

ثم وضع السماعة قبل أن أعرف : آتى لأين ؟

* * *

لم يكن وجهه مشوهًا كالذى هاجمنى ، لكنه غريب الملامح بالفعل .. لا ننكر أنه وسيم أو كان وسيمًا ، لكن نظراته حادة جدًا وتتعقبك حيثما ذهبت ، حتى تذكرت قصة مرعبة قديمة عن ساحر أفريقى أسير تنجح عيناه فى تنويم كل من يدخل الزنزانة عليه .. حتى عندما وضعوا عباءة على وجهه كان ينجح فى تنويم من يريد ويستولى على سلاحه ..

جلد وجهه خشن جدًا ، لكنه لم يبلغ مرحلة التين الشوكى التى رأيتها من قبل ..

شفتاه جافتان مشققتان .. وشاحبتان جدًا .. فيما عدا هذا لونه أسمر بسبب تعرضه المزمن للشمس ..

هذه ملامح مصاص دماء .. لكنه ليس كذلك بالتأكيد ...

ثيابه عبارة عن بول أوفر سميك أسود اللون له رقبة عالية توشك على تغطية أسفل ذقنه ، وفوق البول أوفر سويتر جلدى أسود .. ثياب تناسب راكب دراجات بخارية فى ألاسكا ، لكنها لا تناسب جو مصر الذى صار أقرب إلى الصيف ...

كان يجلس هنـــاك فى مكتب (محمد خيرى) وقد ربطوا معصميه بالأصفاد أمامه.. وهناك رجل شرطة يقف جواره متوترًا .. وجود هذا الرجل يسبب التوتر فعلاً ..

جلست أمامه ونظرت له للحظة ثم نظرت للسجادة لأتحاشى عينيه وسألته :

ــ « ما اسمك ؟ »

لم يرد ...

عدت أكرر سؤالى بالإنجليزية فلم يرد ..

هنا قال (محمد خيرى) مفسرًا وهو يشعل لفافة تبغ :

ــ « لا يتكلم ... فإذا فعل فبلغة لا نعرفها .. »

نهضت لأكون جواره ثم همست فى أذنه ببعض الكلمات .. ثم عدت لمقعدى .. بدا عليه التوتر وهز رأسه ثم وضع الجريدة على المكتب ..

عدت أنظر فى عينى الرجل الذى قبضوا عليه وسألته بالإنجليزية :

ــ « هل أنت مصاب بمرض عضال ؟ »

هنا بدأ يتكلم .. يتكلم بلهجة ثقيلة .. على قدر علمى هذه لغة لا يتكلمها أحد على ظهر الأرض اليوم . لن أندهش لو اتضح أنها الديموطيقية .. لابد من أن يجلس معه د. رمزى بعض الوقت ..

نهضت وانحنيت لأتفحص عينيه ..هاتان الحدقتان ..

قلت للرائد وأنا أجلس :

ــ « فى رأيى أنه تحت تأثير مخدر ما .. هذا الفم الجاف وهاتان الحدقتان المتسعتان تشيان بالأتروبين .. بعبارة أخرى نحن نتكلم عن (الداطورة).. هذا الفتى تحت تأثير مخدر ما .. وهذا يجعله غريب الأطوار سهل القياد .. ربما كان بعض (البيلوكاربين) قادرًا على جعله يفيق .. »

مد الرائد يده لسماعة الهاتف وهو يتكلم :

ــ « المستشفى ..سأرسله للمستشفى لعمل غسيل معدة وتحريز عينات من .... »

فى هذه اللحظة انتفض الرجل .. ولا أعرف كيف ولا متى لف الأصفاد على عنق الشرطى الذى يحرسه ، ثم طوح به جانبًا ..

- 4 -

كأنك ترى الشيطان ذاته ...

لا شك فى أنه هشم عنق فرد الحراسة ..

ثم إنه وثب لينزع المسدس من حزام الرجل ، ووثب على المقعد ..

متى يجد الوقت لهذا كله ؟.. لقد دار فى الهواء ثم هبط على ساق واحدة ووجه ركلة لشرطى آخر فوجئ بما يحدث ....

إنه يتصرف بذات الجنون والحماس والهياج .. نفس سلوك الرجل الذى هاجمنا فى البيت ..

لا أدرى إن كان مشى على الجدار فعلاً أم إن سرعة تصرفاته أوحت لى بهذا .. ما حدث هو أنه طار ليوجه لى ركلة عنيفة فى كتفى .. لحسن الحظ . وإلا لهشم حنجرتى أو ضلوعى لو اختلف المكان قليلاً ...

كان يصدر صوتًا مريعًا كأنه ذئب مسعور ..

وهنا دوى صوت طلقتين .....

لقـد أصـابه الرصاص وهـو يوشـك على الانقضاض على (محمد خيرى) ..

يخيل لى أن صوت الرصاص أعلى من المعتاد .. رائحة البارود أشد من المعتاد .. الموت أعنف من المعتاد ..

كأنه ذئب مسعور أطلق عليه الرصاص فعلاً .. طار للخلف ثم سقط أرضًا على الفور وتشحط للحظات ثم همد ..

كان الرائد يمسك بمسدسه الذى يتصاعد منه الدخان ، وينظر للمشهد فى ذهول ..

قال لى وأنا أحاول النهوض :

ــ « كنت محقًا عندما طلبت منى أن أبقى المسدس جاهزًا .. واضح إن فرد الحراسة قد فك الأصفاد التى فى يده لكنه كان ينتظر اللحظة المناسبة .. لم يخطر هذا لنا .. كنا نجلس مع وحش غير مكبل ولا نعرف .. »

قلت وأنا ألهث وأتحسس كتفى :

ــ « عيناه .. أعتقد بالفعل أنه قادر على التنويم المغناطيسى .. قرأت قصة كهذه فى الماضى ، ومن الواضح أنه نجح فى تنويم

الحارس قبل أن يدخل معه ، وجعله يفك الأصفاد له وإن تظاهر بالعكس .. لاحظ أن تنويم بسطاء العقول أسهل بكثير ، لهذا لم ينجح معك ... »

ــ « هل أنت بخير ؟ »

ــ « الألم ليس من الأمور التى تستحق الذكر فى حياتى .. سأعيش .. »

كانت الفكرة مرعبة فعلاً ... كان الرجل سيفرغ المسدس فينا جميعًا ثم يفر ... أعتقد أنه قام بهذا العرض البهلوانى لأنه خشى ألا يكون المسدس محشوًا ..

كانت الغرفة قد امتلأت برجال الشرطة الذين جاءوا من كل مكان شاهرين أسلحتهم وقد سمعوا صوت الطلقات .. وكان الدخان يملأ الهواء ... هناك جثتان كذلك مما جعل المشهد مرعبًا ...

قلت للرائد وأنا أنهض مترنحًا :

ــ « نصيحة .. حافظوا على الآخر جيدًا .. هؤلاء القوم لا يبالون بحياتهم كثيرًا .. »

ثم اتجهت للمكتب فتناولت ورقة وبدأت أدون عليها ما أريد أن يقوموا به أو أتوقعه :

1 ــ تحليل دم هذين الرجلين ومعرفة أى نوع من المخدرات فيه ؟

2 ــ تشريح جثة المحترق فى البناية .. هل هو مصاب بوباء ما ؟

3 ــ من الذى استأجر البناية ؟ لابد من وجه أنهى الإجراءات فمن هو ؟

4 ــ هل هناك آثار للطحالب أو الغبار البركانى في تحليل مياه قرية أطفيس ؟

5 ــ ما الداء الذى أصاب الماشية هناك ؟

6 ــ من الذى أدخل الكارثة البيئية إلى أطفيس ؟

7 ــ قائمة بأسماء عبدة الشمس الذين وفدوا إلى مصر فى تلك الخطوة السياحية اللطيفة .. وكم منهم غادر فعلاً ؟

8 ــ من هى تلك الفتاة التى كانت تحوم حول ريهام ؟

تأمل القائمة .. لاحظت أن يده ترتجف فهو لم يعتد القتل بدوره ...

رسم ابتسامة مفتعلة على شفتيه وقال :

ـ « جميل أن ترسم لنا خطة العمل ... على كل حال هذا يدلنى على أن تفكيرك منطقى وممنهج . لكن هذا العمل يحتاج إلى شهر .. أنت تريد أن نترك كل أعمالنا ونتفرغ لك .. »

قلت فى ضيق :

ـ « لو أردت استعادة الفتاة وأخيها حيين ، ولو أردت أن توقف أوبئة تلك القرية فعليك أن تسرع .. »

قال مفكرًا :

ـ « وهل الفتاة وأخوها حيان ؟.. لدىّ ألف سبب للشك .. »

ـ « ماذا يدعوك للاعتقاد بهذا ؟ »

ـ « أنت رأيت هذا الحيوان.. لا أعتقد أن من ضمن مواهبه معاملة الأسرى برفق .. »

نهضت مغادرًا هذا المسرح الصاخب ، وقلت :

ـ « ما أعرفه عن الفتاة هو أنها ذكية .. سوف تقنع هؤلاء بأنها تعرف أكثر .... سوف تقنعهم بأن يبقوها حية إلى أن يعرفوا ما تعرفه .. لو كانوا يريدون قتلها منذ البداية لعدنا للسيارة لنجد جثتين .. »

هز رأسه فى عدم اقتناع ثم رفع سماعة الهاتف ..

- 5 -

لم يعد (خميس أبو لبن) قادرًا على الحركة ..

إن القرية تعج بالغرباء .. رجال شرطة .. خبراء من وزارة الزراعة .. أساتذة فى كلية العلوم .. كل هؤلاء فى كل مكان وتحت كل حجر ..

كان (خميس أبو لبن) فلاحًا من الطراز الذى لم يزرع شيئًا فى حياته .. كان أقرب إلى أفاق جرب حظه فى القاهرة مرارًا ، وفى كل مرة يفشل ويعود مفعمًا بالحقد .. وكان الفلاحون يطلقون عليه (عواطلى) ، وكانوا يعرفون أنه ظريف لمدة عشر دقائق لكنك لا تتحمله بعد هذا ولا تأمنه على دخول دارك أبدًا ..

إنه فى السابعة والعشرين على قدر من وسامة الملامح ، وله عينان خضراوان بتلك الدرجة التى تستمد لونها من الحقول ، لكنه لم يكن يحمل شيئًا من الخضرة فى داخله . لو رآه طبيب نفسى لقال إنه شخصية سايكوباثية بالمعنى الحرفى للكلمة وهو لا يحمل أى ضمير من أى نوع ولا يبالى بشىء ، سوى حاسة الحرص على حياته كأنه ذئب أو ثعلب ...

كان يخفى تلك الأنابيب فى غرفته ، داخل حقيبة يعرف أن أمه لن تعبث فيها ..

لكنه بدأ يشعر بقلق حقيقى .

الرجل الذى عرفه فى القاهرة دفع له مبلغًا يدير الرءوس ، وقال له :

ـ « سوف تنفذ التعليمات حرفيًا ولك مثل هذا المبلغ فيما بعد... »

قال فى حذر :

ـ « وما محتوى هذه الأنابيب والعلب ؟ »

ـ « لا تسأل .. أنت تتقاضى مالك مقابل ألا تسأل .. »

ـ « وماذا لو ضبطونى ؟ »

ضحك الرجل كثيرًا ثم قال بعد ما فرغ من السعال :

ـ « أنت فى قرية .. تصور رجلاً يفرغ أنبوبًا فى مجرى الماء .. هل يمكن ضبطه ؟.. من سيراه ؟.. عندما تفتح هذا الصندوق وينطلق منه البعوض فمن سيحاكمك على ذلك ؟.. »

دس خميس المال فى جيبه ، ثم نفث الدخان بقوة وقال :

ـ « اسمع .. أنا لست أبله .. هل هذا المال إسرائيلى ؟ »

ضحك الرجل كثيرًا وقال :

ـ « بالطبع لا .. أقسم لك بقبر أمى أنه ليس إسرائيليًّا .. »

وكان (خميس) يعرف أن كل من يقسمون بقبور أمهاتهم كاذبون وأمهاتهم حيات ، لكنه قرر أن يجرب حظه .. فقط لم يكن راغبًا فى أن يقف على المصطبة والحبل حول عنقه بينما الجلاد يسأله عما يريد قبل أن يموت .. كان من ذات الخامة التى يأتى منها الجواسيس لو كان معه مال يكفى ليذهب لروما أو اليونان ويجول فى المقاهى هناك ، إلى أن يجده (أبو أيوب) ويعرض عليه العمل فى منظمة للسلام .. هذه الخامة نادرة لكنها موجودة بالتأكيد ..

* * *

عندما عاد إلى القرية هذه المرة كان يحمل الكثير من المال ، لكنه كان أذكى من أن يظهر أية علامة على الثراء .. أمه العجوز استقبلته بالدعوات كالعادة .. منذ 27 عامًا تتوقع أن

يعقل ويهتدى .. إنه نموذج ممتاز للبذرة الطيبة التى أفسدها أصدقاء السوء ..

قضى يومين فى الفراش كأنه مريض .. كان عاجزًا عن اتخاذ الخطوة الأولى برغم بساطتها .. وفى اليوم الثالث خرج ليلاً واتجه إلى الماء .. وجلس على الشط يتأمل الماء المترقرق فى ضوء القمر ، ثم أخرج العلبة الأولى فأفرغ ما فيها فى الماء ...

الحق أنه فعل أشياء كثيرة جدًّا .. أفرغ أنابيب تحوى البعوض فى عدة حظائر ماشية .. بعثر علبتين على رءوس المارين تحت داره ماشين فى جنازة ، وبعثر الكثير على رءوس التلاميذ الخارجين من المدرسة .. لابد أن هذه العلب كانت تحوى حشرات صغيرة جدًّا ..

قمل !.. عرف هذا عندما انتشر الداء فى بيته وعندما وجدت أمه عشرات من تلك الحشرات القذرة فى شعره ، حتى اضطر لأن يحلق رأسه بالكامل ...

لقد بدأت الأرض ترتج فعلاً .. لا يستطيع أن يصدق أنه سبب هذا كله فى القرية الآمنة .. لكنه قد بدأ ولا يمكنه التراجع ...

شعور هـو مزيج من الرعب والفخـر انتابه وهو ينظر إلى الماء الذى صار أحمر تمامًا .. الضفادع فى كل مكان والمواشى تتساقط ...كل هذا بسببه .. لو افتضح أمره فلن يحاكم .. سيمزقه الفلاحون بأسنانهم حيث هو ..

بالفعل بدأ يضمر وشحب وجهه وغاصت عيناه فى وجهه .. صار كالشبح لكن سبب هذا لم يكن الضمير ولكنه الخوف من أن ينكشف أمره ..

أراد أن ينتهى من هذا كله ويعود للمدينة ، فهو لا يطيق هذه القرية اللعينة .. لكن التعليمات صريحة .. لن يتقاضى المال ما لم يفرغ آخر أنبوب لديه ..

هذا الأنبوب بالذات كان مريب الشكل .. فهو مغلق بإحكام ، وموضوع فى علبة مبطنة بالقطيفة ، وهذه العلبة داخل علبة أخرى أكبر ..

كان فى غرفته فى تلك الليلة وقد تربع على الأرض يتفحص هذا الأنبوب ..

ما الموجود فيه ؟.. سائل رائق أصفر اللون ...

أراد أن يتشمم الموجود ..

راح يحاول أن يفتح الأنبوب بلا جدوى .. هكذا اضطر إلى أن يضغط بأسنانه كى يفتح السدادة العصية .. بالفعل لانت قليلاً ...

فتح الأنبوب وتشممه .. لا رائحة .. ترى أية كارثة سوف يسببها هذا الشيء ؟

أعاد غلق الأنبوب وأخفاه فى الحقيبة ، وقرر أن يجرب حظه هذه الليلة بالذات ...

ثم رقد على الفراش الذى أعده على الأرض وراح يتأمل عروق السقف الخشبية حيث تمرح الأبراص ..

غريب هذا .. الطقس حار نعم . لكنه لم يكن بهذه الحرارة .. يشعر بأنه فى فرن ..

بالواقع هو يشعر كذلك بغثيان شديد ويوشك على أن يفرغ معدته .. العرق يسيل بلا توقف . ماذا حدث ؟

نهض فوجد أن الغرفة تميل بزاوية 90 درجة .. يشبه الأمر ركوب سفينة غير متوازنة .. اتجه للباب فأدرك أن ساقيه لينتان كالمكرونة ...

فتح الباب وصرخ :

ــ « يا أمه !.. يا أمه ! »

فقط عندما جاءت العجوز الطيبة ورأت وجهه وصرخت وهى تضرب صدرها ، كان وجهها مرآة يرى فيها ملامحه .. عندها فقط أدرك أن هناك كارثة ..

ـ 6 ـ

عند المساء اتصل بى الرائد (خيرى) ليقول لى :

ـ « أعتقد أننا وجدناه .. »

قلت فى حماسة :

ـ « هذا رائع .. كنت أعرف أنه سيقع فى الشرك .. لكن عمن تتحدث ؟ »

قال بنفاد صبر :

ـ « ذلك الذى بدأ الكارثة البيولوجية فى القرية .. اسمه (خميس أبو لبن) .. »

ـ « إذن هو سيقودكم لكل شىء .. »

ـ « ليس بالضبط .. إن حالته سيئة جدًّا ولا يقدر على الكلام .. بل هو فى الواقع يحتضر الآن .. يبدو أنه مصاب بمرض (التين الشوكى) الذى تكلمت أنت عنه .. لا يقدرون على النظر له بسبب بشاعة منظره .. وجدته أمه فى هذه الحالة ، وغرفته تعج بأنابيب الاختبار التى تصلح لتوجيه التهمة له .. »

هذا مؤسف .. كلما وجدنا خيطًا وجذبناه اكتشفنا أن طرفه الآخر لا يتصل بشىء ..

على كل حال هذا يثبت أننا نفكر بشكل صحيح ...

قال الرائد بعد صمت :

ـ « يسافر للقاهرة كثيرًا .. لابد أن تجنيده تم هناك إذا جاز لى هذا التعبير . يجب أن أخبرك كذلك أن حاجياته كانت تحوى أنبوب اختبار .. لا نعرف ما فيه بالضبط لكنهم يتحدثون عن فيروس أو عامل بيولوجى خطر .. غالبًا هو الذى أدى لمرضه .. لقد قام رجال وزارة الصحة بتطهير البيت والتحفظ على الأنبوب .. »

هكذا تتضح الأمور .. لا يقدر أحد على تنفيذ باقى سلسلة الأوبئة ، لذا قرر الفاعل أن ينهى سلسلته الخاصة بوباء شامل حقيقى ..

إن مصر بلد كبير ، ولا يمكن أن تحدث أذى كبيرًا إلا بتهديد نووى أو تهديد بيولوجى .. إن أنبوب اختبار يحدث الكثير من الضرر ..

ما هو محتوى الأنبوب ؟.. يخيل لى أنه عامل جديد غير معروف .. الجدرى لا ينتقل بهذه السرعة ولا يجعل الناس يبدون بهذا الشكل .. على قدر علمى لا يوجد وباء مماثل . لقد وجد هذا الوباء فى مختبر ما فى مكان ما ..

لكن من قال إن هذا هو الأنبوب الوحيد ؟.. ومن قال إن القصة انتهت عند هذا الحد ؟

سألته :

ـ « هل انتهت مشكلتك مع ذلك الفتى الذى قتلته ؟ »

قال وهو يتنهد :

ـ « لست فخورًا جدًّا بما قمت به ، لكنه كان دفاعًا عن النفس بلا شك ... لقد مات ويده تطبق على المسدس .. لا يمكن أن ينصحنى أحد بالتعقل بعد هذا .. »

كنت شارد الذهن لدرجة أننى لم أدر أننى وضعت سماعة الهاتف دون أن أودعه ..

* * *

ثبتت القناع على أنفى وأحكمت ربط العباءة ..

اسمحوا لى بالدخول بين ثلاثة رجـال شرطة .. هناك كان (خميس أبو لبن) راقدًا على الفراش فى غرفة خافتة الإضاءة ، وكانت هناك ممرضة تلبس مثلى تفرغ محقنًا فى ذراعه المربوط

برباط من الشاش إلى الفراش .. طبعًا لم يكن هناك داع لهذا لأنه كان فى اسوأ حال ..

كأنهم بدلوا وجهه بثمرة تين شوكى .. عيناه حمراوان تمامًا .. لكنه نسخة أخرى من ذلك المهاجم الذى باغتنا ونحن نفتش البناية ..

يشبه من بعيد حالات الجدرى المتقدمة ، لكنه ليس مصابًا بالجدرى بالطبـــع .. لم يعــد يوجــد جدرى على الأرض أصلاً ولا يوجد جدرى بهذا العنف ...

ارتجفت لفكرة أن هناك من يحلم بتحويل سكان مصر إلى نسخة من هذا المسخ ..

على الأرجح كان هو أول الحالمين ، لكن طباخ السم ذاقه بطريق الخطأ .. لا أتعاطف معه لحظة ..

ظللت أراقبه بعض الوقت وتفحصت ذراعيه وساقيه ثم غادرت الحجرة ، لأنزع القفازين والثياب الواقية فى وعاء يحوى مادة (الجلوتارالدهايد) المطهرة ...

كان الرائد (خيرى) ينتظرنى قرب الباب ، وهو يدخن لفافة تبغ غير مبالٍ بممرضة غاضبة تريد منعه من التدخين ولا تجرؤ ..

قال وهو ينفث سحابة كثيفة :

ـ « هل من شىء جديد ؟ »

ـ « ليس الجدرى على كل حال .. ليس أى مرض فيروسى نعرفه .. »

ثم سألته وأنا أجفف عرقى :

ـ « ماذا تنوون عمله ؟ »

ـ « الكثير .. نحن لا نتوقف أبدًا .. الطريقة التى غادر بها هؤلاء القوم البناية .. هناك صناديق وأثاث .. يعنى هذا شاحنات أو سيارات نصف نقل .. نقوم باستجواب كل سائقى هذه السيارات فى المنطقة . نسأل الجيران عمن كان يجلب لهم الطعام .. نتابع كل أفراد الجماعة التى تعبد الشمس الذين جاءوا لمصر .. نبحث عن مالك البناية الأصلى لنعرف من استأجرها منه .. لاحظ أنهم لا يستطيعون الوصول إلى كل مكان بهذه السهولة ما لم يكن معهم مصرى أو اثنان .. صدقنى نحن مشغولون جدًّا .. »

ـ « إننى أحسدكم.. أنا بلغت آخر مجرى أفكارى .. »

ثم تذكرت شيئًا فسألته :

ـ « هــل هنــاك بصيص من أمل فى موضوع سيارات النقل هذا ؟ »

هز رأسه باسمًا وقال :

ـ « حتى هذه اللحظة لا .لكننا اعتدنا ذلك .. »

كنت شارد الذهن لدرجة أننى لم أدر أننى انصرفت دون أن أودعه ..

ـ 7 ـ

توقفت سيارة د. رمزى قرب البناية فى المنحدر ..

كانت شمس الظهيـــرة تتوســـط السماء .. حارقة تعلن بدء ملكوت الصيف ..

ترجلت ونظرت إلى المكان حولى .. لا يوجد أحد .. على قدر ما أعتقد لا يوجد أحد ..

هناك مشكلة كبرى هى أننا لن نوقف السيارة أبعد من هذا .. لو ابتعدنا لما استطاع د. رمزى أن يمشى هذا كله ، ولو اقتربنا جدًّا فسوف يرانا أحد ..

من جديد رحت أدور حول البناية وأنا أتفحص الأرض ....

ثم عدت إلى د. رمزى وطلبت منه أن يترجل معى ...

لم أتصل بالرائد (خيرى) لأننى لست واثقًا من شىء .. هناك احتمال عالٍ جدًّا أن أكون أحمق ، وأنا لا أريد أن أسبب السخرية .. أريد أن أرى كل شىء بنفسى أولاً ...

قال لى د. رمزى وهو يغلق السيارة ويتناول العكاز ، ليمشى مشيته الأرستقراطية الغريبة كأنه (باشا) يتفقد أملاكه :

ــ « أرى أنها حماقة .. »

ــ « لم أنكر ذلك لحظة .. لكنى أريد أن أعرف .. »

ثم ركلت الغبار بقدمى وقلت :

ــ « لم يظهر سائق سيارة نقل واحد يعترف بأنه أجرى عملية نقل هنا .. عملية نقل هنا كانت لتكون شاقة جدًّا .. كان الكثيرون سيلاحظون .. دعك من أننا جئنا هذا البيت مبكرًا فلم نجد أثر إطار سيارة واحدة خارج البيت .. وحتى هذه اللحظة لا أرى إطارًا واحدًا برغم أن آثار إطارات سيارتنا ما زالت موجودة بعد المغامرة الأخيرة . هل ينقل هؤلاء حاجياتهم بالهليوكوبتر ؟.. »

ــ « ماذا تريد قوله ؟ »

ــ « قلت لك .. ما زلت أشك فى هذه البناية .. أشعر أنهم ما زالوا هنا .. ولو كانوا قد رحلوا كلية فلماذا تركوا من يراقب المكان لهم ؟.. واضح أنهم يتركون من أصيب بالمرض كى يتولى هذا الأمر عنهم . وكيف استطاعوا نقل الفتاة وأخيها بهذه السرعة ؟.. »

ـ « لقد فتش رجال الشرطة البيت جيدًا بعد مغامرتنا .. هل تعتقد أنهم لم يبحثوا تحت السجاجيد وتحت الأسرة ؟ »

كنت قد بلغت الباب الموارب .. دفعته فى حذر وقلت :

ـ « هذا ما أراهن عليه .. »

* * *

يظهر اسم سمنخارع فى المخطوطات بدءًا بالعام الرابع عشر من حكم (أخيناتن) ، ومن الغريب أنه ذات الوقت الذى يتوارى فيه اسم (نفرتيتى)..

الاسم يكتب أحيانًا فى صيغة ذكرية وأحيانًا فى صيغة أنثوية ..

لا يعرف علم الآثار الكثير عن هذا الاسم .. أكبر الظن أنه حكم مع وبعد (أخيناتن) ولمدة ثلاث سنوات .. والغالب على الظن أنه أخو (أخيناتن) نفسه .. لكن هناك من يرون أنه ابن أخيناتن من (كيا) إحدى زوجاته .. وهناك من يرون أنه ابن أمنوفيس الثالث من كيا ..

هل ظل على عبادة (آتون) أم أدار ظهره لها وعاد لعبادة آمون ؟.. لا يوجد أحد على يقين من هذا ..

نعرف كذلك أنه ـ لو كان فتاة ـ فهو على الأرجح كان متزوجًا من (ميريت آتون) ابنة أخيناتن ونفرتيتى .. واحدة من البنات الست .. ولربما كان متزوجًا كذلك من (عنخسنامون) الابنة الأخرى لأخيناتن ..

تنامى نفوذه فى البلاط بشكل مرعب . وهناك نقش غريب يظهر فيه أخيناتن ونفرتيتى وابنتهما (ميريت).. تم تغيير اسم نفرتيتى ليصير (سمنخارع) وتم تغيير اسم (ميريت) ليصير (عنخسنباتن) .. هل يعنى هذا أن نفرتيتى وسمنخارع هما الشخص ذاته ؟

هل هو لا ينتمى للأسرة أصلاً وبالتالى هو ابن أحد ملوك الحيثيين ؟.. سوبيلوليوماس بالذات ..

الحقيقة الوحيدة هنا هو أن سمنخارع لا يظهر أبدًا مع نفرتيتى فى صورة واحدة .

الجسد فى المقبرة 55 يوحى بأنه جسد امرأة .. طريقة الدفن توحى بهذا ... فلو كان هذا جسد سمنخارع فما السبب ؟..

هل هو على سبيل التنكيل به ؟.. أم أن جنسه كان غير مستقر يقف بالضبط بين الذكر والأنثى ؟

لماذا أخذوا أشياء كثيرة من قبره ووضعوها فى قبر توت عنخ آمون ؟ يصعب على المرء أن يصدق أن بعض صور توت عنخ آمون التى نعرفها هى فى الحقيقة صور سمنخارع .. لقد تم تغيير اسم صاحب الصور .. والسبب ؟.. الكراهية على الأرجح ..

إن المقبرة 55 لغز محير ، وسوف تبقى كذلك على ما يبدو ..

* * *

كانت البناية من الداخل كما تركناها ، وإن سادتها فوضى عارمة ناجمة عن عشرات رجال الشرطة الذين دخلوا هنا . فى داخل البناية كان ذلك الدرج الذى يقوْد للطابق الثانى .. الطابق الذى لم نره قط ..

درج صغير ضيق يتجه لأعلى..

وضعت قدمى على الدرجات وبدأت أصعد لاهثًا ..

قال د. رمزى فى غيظ :

ـ « تفكير منطقى .. لم يخطر لرجال الشرطة أن يصعدوا للطابق الثانى .. أنت عبقرى ! »

لكنى لم أبال به .. واصلت الصعود حتى الطابق الثانى ثم واصلت الصعود لأعلى .. لقد تحول الدرج إلى ما يشبه سلالم المطافئ وصار مستحيلاً على د. رمزى أن يأتى هنا ..

كان هناك باب خشبى صغير يقود للسطح فأزحته .. وهكذا وجدت نفسى أقف فى ضوء الشمس الساطع أعب الهواء بقوة وجوع.. إنه سطح كأى سطح آخر بما عليه من براميل ضخمة وقطع قرميد وأكياس أسمنت تحجر ما فيها .. هناك مقاعد تالفة وحبال غسيل . لا يوجد هوائى تلفزيون ..

أرمق المنطقة كلها من أعلى للمرة الأولى ..

رحت أبحث بدقة .. حتى وجدت تلك النافذة الزجاجية فى الأرضية .. النافذة التى أبحث عنها منذ البداية ...

ركعت على ركبتى وفتحتها بصعوبة ..

وجدت ما توقعته فعلاً ..

ـ 8 ـ

كانت النافذة تقود لنفق طويل ينتهى بمرآة .. مرآة عملاقة مائلة ..

بالطبع لا أستطيع النزول فى هذا النفق .. هذا يحتاج إلى من هو أصغر منى بثلاثين عامًا وأقل حجمًا .... لكن من الواضح أننا فى الطريق الصحيح ..

قمت بتحديد اتجاه النافذة الأرضية ، ثم خرجت من السطح لأهبط على ذلك السلم العجيب ..

لكن ....

أين رمزى ؟؟؟

لم يعد هنا !

تبًّا ... رحت أناديه مرارًا بلا جدوى .. لم أجد إلا عكازه على الأرض فأخذته وقد أزمعت أن أحطم رأس أول من أقابله ...

رمزى ليس فى مكان ما هنا ولا يقضى حاجته ...

إن هؤلاء القوم يلعبون معنا لعبة المساكة . الظفر بآخر من يقف فى الصف ... طريقة سخيفة جدًّا لكنها فعالة ....

الآن هل أجد وقتًا يسمح لى بالفرار إلى السيارة ؟

أريد أن أتصل بالرائد (خيرى) بأية طريقة ....

* * *

درجة سلم ..

درجة أخرى ..

لا تتوقف يا قلبى ...

الفكرة هنا أن هؤلاء القوم عبدة شمس .. وفى الوقت ذاته يتوارون فى مكان مظلم بعيدًا عن الأنظار .. بالطبع جندوا من يجلب لهم المؤن بطريقة خفية .. لكنهم لم يفارقوا البيت كما توقع الجميع ... إنهم هنا .....

درجة ..

درجة أخرى ...

تمسك بالترابزين حتى لا تقع ...

هم بحاجة للشمس حيث تواروا .. للعبادة أو لأسباب صحية . وهم يظفرون بالكثير منها بدليل لونهم الـذى لوحته الشمس .. لو كانوا يعيشون فى الظلام لبدوا شاحبين ..

ما قاموا به هو استخدام ألواح زجاج تميل بزاوية 45 درجة ... لوح يعكس الشمس إلى لوح آخر على طريقة منظار الغواصة (البيريسكوب).. وهذه الألواح فى النهاية تقود إلى وكرهم الذى يضاء فى النهار بضوء طبيعى ...

درجة أخرى ..

هذا الوكر غالبًا يقع تحت البناية .. كل ما فعلوه هو أن أخذوا حاجياتهم وصناديقهم وأسراهم ونزلوا تحت .. وليفتش من يفتش .....

طبعًا هم تخلصوا من الكلاب التى تحدث عنها الصبى .. الكلاب ستعقد الأمور أكثر ..

درجة أخرى ...

لا يوجد أحد ..

سوف أنجح ...

ربما لم يخطر ببالهم أن هناك من يوجد على السطح لحظة أسر د. رمزى ..

احتمال واهن .. لابد أن الأحمق ملأ الدنيا صراخًا على غرار : احترس يا رفعت ! .. ونظر لأعلى مرارًا..

يجب أن أفترض أنهم يعرفون مكانى ...

يجب أن أتوقع الكمين الذى أعدوه لى ...

أين باب الخروج ؟.. أين باب الخروج ؟

* * *

فجأة من الظلام ظهر لى أحدهم ..

كان مسعورًا كالآخرين واندفع نحوى وهو يلهث كأنه ذئب ظمآن ..

هويت على رأسه بالعكاز فتكوم أرضًا ثم نهض من جديد .. سوف يحتاج إلى ضربة ثانية إذن ...

هنا .. للسن أحكام وللقلب الواهن أحكام ...

لقد راح قلبى ينبض بسرعة جهنمية .. ضربات لا جدوى منها ولا توصل دمًا لمخى ...

وفى اللحظة التالية ساد الظلام العالم وتهاويت على الأرض ...

لقد نفدت البطارية فى لحظة ذروة جميلة .. كنت خليقًا بأن

....

لا شىء ....

سمنخارع ..

أيها اللغز ..

ابتعد عنى ...

المقبرة 55 هى جحر من جحور الشيطان ... ربما تقود لجانب النجوم ؟.. لا أظن ..

سمنخارع ...

أنت نثير اشمئزازى ... لا أعرف إن كنت ذكرًا أم أنثى ...

لا أعرف إن كنت موجودًا أم لا ...

ابتعد عنى ودعنى أنعم بالظلام ....

- 9 -

كان هناك من يمسح وجهى ..

بدأت أفتح عينى ببطء لأرى ضوء النهار يغمر كل شىء ..

لكنى لم أكن حرًّا ولم أكن فى الخارج ...

رأيت وجه (رمزى) ثم وجه (ريهام) ووجه أخيها ... كانوا يلتفون حولى كأنهم ذئاب حول فريسة ..

- « إنه يفيق .. »

عندما فتحت عينى أدركت أن توقعاتى صحيحة .. كنا فى قبو حقًّا لكن المرايا تحيط به من عدة جهات ، وقد تم توزيعها بشكل دقيق بحيث غمرت المكان بالنور ...

كنت حيًّا وقد حملونى إلى هنا عندما فقدت رشدى ..

جلست ورحت أسعل ..

كانت ريهام فى حالة ممتازة برغم ثيابها الرثة .. وكذلك كان أخوها .. أما رمزى فكان فى حال سيئة نوعًا ويبدو أنهم ضربوه كثيرًا ... لقد ضمدت الفتاة جروحه بقطع من ثيابها ..

استندت إلى الجدار ورحت ألهث :

ــ « أين هم ؟ »

قال د. رمزى وهو يئن :

ــ « هناك شىء جلل سوف يحدث .. لا نعرف ما هو .. ربما يتأهبون للرحيل .. يعدون كل شىء .. »

ــ « هل لى أن أفهم .. من هم ؟ »

قالت ريهام وهى تجفف العرق عن جبينى :

ــ « معهم مصريون على الأرجح ، لكنهم لا يعلمون الكثير .. يارا مثلاً مصرية تعمل معهم وتطلعهم على ما خفى عنهم من المجتمع المصرى .. أما الأجانب فكلهم نسخة من الشخص ذاته ... كلهم واقع تحت تأثير مخدر ما ، لكن لهم زعيمًا أو مرشدًا وهو بالمناسبة الوحيد الذى يتكلم بوضوح ، كما أنه يجيد العربية والإنجليزية ومنه فهمنا ما يدور بشكل ما.. هذا الزعيم يمت بالقربى لإيرتون.. البريطانى الذى اكتشف المقبرة رقم 55 مع ديفيز . كانت هناك بردية مهمة تشرح كل شىء .. تشرح أن هذا قبر (سمنخارع) وكيف أنه سيعود للحياة ليعيد عقيدة عبادة

الشمس يومًا ما . فقط يجب أن تعم الأوبئة العشرة القديمة جزءًا من البلاد ، وأن يأتى من يعيدونه للحياة من أيونو ... لقد سرق إيرتون هذه البردية وعكف فى وطنه على ترجمتها .. وبعد وفاته انتقلت لابنه فأحفاده . يمكن فهم ما حدث بعد هذا .. تكونت الجماعة ثم جاء أفرادها لمصر فرادى .. »

كان القبو الذى نحن فيه يشبه زنزانة سجن لكنها مفتوحة ومضاءة جيدًا ..

رأيت (ريهام) تنظر إلى الباب ..

كان هناك رجل يلبس عباءة سوداء طويلة ويبدو متقدمًا فى العمر .. وقف على الباب ونظر لنا نظرة عابرة كأنه يطمئن على أننا لم نفارق مكاننا ، ثم انصرف ...

قالت لى مفسرة :

ـ « هذا هو المرشد أو الزعيم .. اسمه ينتهى بـ (إيرتون) .. »

ثم أضافت :

ـ « ربما هم ينوون الرحيل .. يشعرون بأن المكان لم يعد آمنًا وأن حيلة القبو هذه انكشفت للشرطة أو على وشك .. المهم أنهم يتأهبون لشىء مهم .. يستعدون له منذ يومين .. »

ـ « جميل جدًا .. وأنتم ؟ »

ثم استدركت فقلت :

ـ « ونحن ؟ »

قال رمزى :

ـ « نحن نسبب لهم الحيرة .. لا يعرفون ما يفعلون بنا .. فى النهاية يبدو أنهم سيتركوننا ويرحلون .. سوف يستقرون فى إحدى الضواحى .. غالبًا لديهم مكان فى المطرية .. »

ـ « بهذه البساطة ؟ »

ـ « طبعًا سوف يحرقون البناية كلها قبل الرحيل ونحن سجناء فيها طبعًا ... »

قالت الفتاة :

ـ « أعتقد أنهم سوف ينشرون الوباء أولاً ثم يحاولون إعادة سمنخارع للحياة .. »

قلت وأنا أنهض وأنظر حولى :

ـ « لا يبدو لى أننا سجناء هنا .. لا أرى أصفادًا ولا قضبان .. »

قالت :

ـ « لكنهم فى كل مكان .. صدقنى .. لن تستطيع الخروج .. »

هنا سمعنا صوت خطوات ...

وفجأة دخل واحد .. ثم آخر .. ثم آخر من هؤلاء القوم .. كلهم مطرق وصامت ...

وكانوا يتكلمون بتلك اللغة الغريبة ...

ثم شق (إيرتون) صف الذين وقفوا حولنا ليقف فى مركز الصدارة ...

عندما نظرت حولى وجدت أننا محاصرون بعشرة منهم فى هذا المكان الضيق . بالطبع هو نوع من التقدمات البشرية .. توقع أى شىء من الوثنيين .. هل توجد تقدمات بشرية أنسب منا ؟

يبدو أن الحين قد حان ..

ـ 10 ـ

ثم إن الصف انشق من جديد وظهرت أجمل فتاة يمكن لك أن تتخيلها .. حورية حقيقية باهرة الجمال ، من الطراز الذى يشعرك بأنك قبيح جدًّا وأرضى جدًّا ....

يارا .. لا أحتاج لتفكير كثير ... هذه هى ..

على كتفيها عباءة ساحرة مليئة بالنقوش وعلى رأسها تاج أنيق .. تبدو كملكة فرعونية فعلاً ...

كانت تتكلم .. لكن ليس بالعربية ..

تتكلم بلا توقف ، هنا راح الواقفون يصدرون همهمة متواصلة ..

ثم جثت على ركبتيها فجثا الجميع ....

ورأيتها تتقدم نحونا فاحتضنت (ريهام) أخاها فى توتر .. وبدا الصبى متوترًا مستعدًّا كى يوجه ليارا ركلة فى ساقها لو تمادت ...

لكنى رأيتها تنزع العباءة والتاج ..

وبحركات وقور تضعهما على .. على (ريهام) ....!

ساد صمت رهيب ثم من جديد جثا الرجال على ركبهم وخفضوا الرءوس ....

تكلم إيرتون أخيرًا فقال بالإنجليزية وبصوت رهيب :

ــ « لقد تم التجسد ... تحية لك يا سمنخارع ! »

وقالت (يارا) دون أن ترفع عينيها :

ــ « عقدنا اجتماعنا فى ذلك اليوم عالمين أن العلامة ستأتينا .. والعلامة كانت أخاك الذى تسلل إلى اجتماعنا . كانت هذه هى العلامة .. بحثنا عنك ووجدناك .... »

إذن هذا سر ذلك البحث المحموم ..

لهذا بحثوا عنها ودسوا من تتجسس عليها !

لهذا لم يقتلوها هى أو أخاها .. برغم أن هذا كان منطقيًا جدًا ....

ربما ريهام لم تخطف عندما تركناها فى السيارة .. ربما خرجت ملبيةِ النداء !

سمنخارع ..!.. لم يكن ذكرًا ... ربما كان أنثى .... وربما كان الكلام كله عن (كيا) منذ البداية ..

لكن منذ متى تعرف ريهام أنها هى ؟

الآن كانت تقف بالعباءة والتاج ..

تغيرت كثيرًا جدًّا .. بالفعل تغيرت كثيرًا ..

صارت أقرب إلى ملكة بوقفتها الشامخة الرهيبة ، مع نظرة شيطانية لا شك فيها فى عينيها ..لا يمكنك أن تنظر لهاتين العينين أكثر من ثانية ..

هل هى منومة أم إن نوعًا من المس الشيطانى أصابها ؟

نظرت للدكتور رمزى ونظر لى ..

أعرف شعور الدجاجة التى تنتظر الذبح الآن ...

قال لها إيرتون وهو يمد يده فى جيبه :

ـ « لقد عدت يا مجد الشمس ... الآن اسمحى لنا بأن ننهى وجودنا ... »

قالت بصوت عميق مرجف كلمات بتلك اللغة التى صارت تجيدها فجأة ..

هنا رأيت مشهدًا مروعًا .. لقد مد كل واحد من هؤلاء القوم يده فى ثيابه فأخرج أنبوب اختبار صغيرًا رقيقًا .. أطبق عليه قبضته ..

كانت ريهام تنظر لهم نظرة ثابتة فيها شىء من الانتصار والقسوة ..

كراااش !

تصاعد صوت تهشم نحو عشر من أنابيب الاختبار لتغرق وتدمى أيدى أصحابها .. وسمعت صوت الأنين ..

بعد ثانيتين سقط الجميع على الأرض ..

وأدركت بلا جهد أن أيديهم تتخذ ذلك الشكل المروع الذى رأيته مرارًا .. قشرة التين الشوكى .. لقد بدأ الوباء ....

كانت خطوة الوباء هى آخر خطوة ..

وكان دور هؤلاء القوم لا يختلف عن دور ذكر النحلة أو ذكر السرعوف .. لقد جاءوا بها وانتهى دورهم ..

الأرض مليئة بالذين يتلوون ويئنون...

يعلم الله ما هو هذا الوباء.. إنه فيروس تم تركيبه فى مختبر ما ، وهو شديد الفتك ... سوف يقضى خبراء الفيروسات أيامًا ممتعة قادمة ...

تتقدم منا ريهام فى ثبات وتنظر لنا ، وهى تضع يدها على كتف أخيها الذى وقف ينظر لنا متصلبًا ..

عرفت أن علينا أن نظل ثابتين .. لا حركات حمقاء ..

تنظر لى ثم لرمزى .. ثم تقول له بالعربية وبصوت ثابت :

ــ « أنا أحببتك يومًا .. أحببتك كثيرًا .. لهذا أتركك حيًّا ... انصرفا ولا تعودا .... »

لم نكن بحاجة لكلمات أخرى .. جررت د. رمزى من يده .. كان يمشى بصعوبة بالغة من دون عكاز ، لكننى جررته جرًّا .. وخرجنا من هذا السرداب الرهيب ..

كانت هناك درجات من حجارة تتجه لأعلى فرحنا نصعدها بعسر بالغ ...

فى النهاية كانت هناك فتحة فى السقف .. غادرناها لنجد أننا نخرج من تحت الأرض على بعد خمسين مترًا من البيت ..

كان هذا هو وقت العصر ولكن المكان بالخارج لم يكن هادئًا ..

كانت هنـــاك سيارات شرطة تنتظر ، مع صـــوت اللاسلكى والسرينة المنذرين بكارثة ، وكان هناك رجال شرطة يخرجون من البيت وقد بدت عليهم الحيرة .. تبينت وجه الرائد محمد خيرى فصحت أناديه ..

جاءنى مسرعًا وتأكد من أن د. رمزى ليس بالسوء الذى يوحى به مظهره ، لكنه أمر أحد رجاله بأن يجلب الإسعاف .. ثم قال :

ــ « اختفيتما فجأة .. أفلت د. رمزى من رجالى الذى يراقبونه لسلامته .. خطر ببالى هذا البيت ، وعندما جئنا كانت السيارة واقفة وخالية .. لكن لا أحد بالداخل .. رجالى فتشوا جيدًا .. »

أشرت إلى الفتحة التى خرجنا منها وقلت لاهثًا :

ــ « من هنا .. الدخول والخروج من هنا .. أقترح أن تنتظر رجال وزارة الصحة لأن المكان ملوث بالكامل .. أعتقد أنك ستجد المومياء فى صندوق بالداخل .. »

ـ « والفتاة وأخوها ؟ »

قلت بلهجة ذات معنى :

ـ « لن تجد أحدًا حيًّا بالداخل .. صدقنى ... »

* * *

لقد اختفت ريهام وأخوها ...

لا أملك أجوبة عن المكان الذى ذهبت إليه ولا كيف اختفت ..

لا أعـرف متى بدأت تدرك أنهـا هى المختـارة لتكـون كيا أو سمنخارع ..

ما أعرفه هو أن هؤلاء القوم جاءوا لها وبحثوا عنها ، ولم تصطدم هى بهم . عندما ضل سامح طريقه ورأى الاجتماع كانوا فى الحقيقة ينتظرونه !.. يعرفون أن من سيظهر فى هذا الوقت هو قريب للفتاة التى ستكون كيا أو سمنخارع .. والبحث المحموم عنه وعن أخته لم يكن بغرض القتل .. كان بغرض أن يأخذوه عندهم ...

لقد انتهت قصة الفتاة الزرقاء ..

ماذا ؟ لا توجد فتاة زرقاء ؟.. هذا صحيح فيما يبدو . لقد شخت حقًا كما ترى .. على كل حال لن أكون أول ولا آخر من حكى قصة اسمها الفتاة الزرقاء ، وليس فيها فتاة زرقاء !

* * *

فى القصة القادمة ترى مواجهتى الكبرى والأخيرة مع حامل الضياء ..

يفضل بعض القراء أن يطلقوا عليه اسم (دكتور لوسيفر) ، لكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

دكتور رفعت إسماعيل مع القراء

أخيرًا يأتى الجزء الممتع من الكتيب ، وهو خطابات القراء التى اعتدنا أن نقابل بعضها فى كل مرة ..

هذا خطاب ممتع من صديقة .. لن أذكر اسمها لأننى لم أطلب إذنها بالنشر .. لكنه ممتع جدًا لدرجة أنه من الخسارة ألا أقاسمك إياه ، وبرغم أنه مكتوب بالعامية وأنا أمقت الكتابة بالعامية ، لكن حرارته تذيب هذه التحفظات :

بسم الله الرحمن الرحيم

د . أحمد خالد توفيق

قلت فى آخر خطاب أن الكلام لم ينته .... لذا .... أتمنى أن أتحدث معك قليلاً فى موضوع لم أقرأ رأيك فيه فى أى مقالة من مقالاتك

إيه رأيك فى الفيس بوك ؟!

سؤال كوميدى ... مش كده ؟؟؟ الموضوع معقد وله جوانب كثيرة أعتقد أنه لازم أعرف رأيك فيها ..

الفيس بوك ... بدأ الموضوع معى بصديقتى (....) ... منذ حوالى 3 سنين أو أقل .. مش فاكرة ... كان معنديش نت فى البيت بصفة ثابتة .. ومكانش فيه لاب توب .. كان الاعتماد الأكبر على الكمبيوتر المنزلى العملاق (الآن يستخدم كمائدة فى الصالون يتم حمل عليه الأكواب بصورة جيدة جدًا لأننا من

البيوت اللى مستحيل ترمى حاجة أو تتخلص من شىء ملوش لازمة ... بابا على اعتقاد أن كل حاجة ليها لزمة فى مرحلة من المراحل لذا بدعو ربنا بكل خشوع إنى ألاقى مكان أحط فيه رجلى فى المنزل من كتر الكراكيب ..) المهم .. أن كمبيوتر البيت العظيم كان بيطلع فى الروح وكل شوية أخويا يجى ياخده ويذهب به لشخص يعتقد أخى إنه بيل جيتس يحاول يصلحه ... يجى الكمبيوتر ومفيش يومين ويخرب وهكذا .... المهم أخويا قرر أنه ياخد مراته وعياله ويهج من البلد ويروح السعودية (كالمعتاد .. جعلوه فانجعل) ولقيت نفسى فى مأزق رهيب ... وكنت وقتها داخلة الماجستير .. ولقيت مفيش مهرب إلا بشراء الاختراع اللى كان فى مرحلة من مراحل حياتى الحلم المستحيل ... شراء لاب توب زى الناس المهمين ... سحبت القرشين من البوسطة على كام قرش من بابا وماما واشتريت الأعجوبة .... وقتها كانت (...) هى المسئولة عن إعداد الميل بتاعى ... لأنى معنديش نت وغلبانة ووحدانيـــة وأخويا الوحيد بخ على

السعودية .... المهم مرة لقيتها بتقولى ... يالا بقى اشتركى فى النت أنا عملتلك (أكونت) على الفيس بوك !!!!

طبعًا أنا فتحت بقى وأفتكرتها بتشتم ... لحد ما ربنا أراد أن النت يدخل اللاب توب عن طريق الاختراع العبقرى بتاع اتصالات (يو إس بى مودم)

ثم بدأت الحكاية ... حكاية www.facebook.com

الأول كانت (...) وأخويا وكام صاحبة من الكلية عندى .. وبعدين (...) خلتنى صديقة لميشيل حنا (من أجمل البنى أدمين اللى أقرتلهم فى حياتى)

وكنت وقتها مابدخلش كتير .. يعنى أبص فى صفحة (....) وخلاص على كده ...

معرفش إمتى الموضـوع ابتـدى .. بس فى مرحلة ما .. صندوق بندورا اتفتح ... وكل حاجة ظهرت ..

فجأة لقيت كل أمة لا إله إلا الله على النت .. ومن زمان ... كل الناس .. كلهم بلا منازع فخورين قوى بنفسهم وعاملين (كونت) ... كل اللى بشوفهم الصبح فى الكلية أو فى الشغل بقيت ألاقيهم بالليل على النت ..

كل الناس .. اللى أعرفهم واللى معرفهمش على النت ..

وماكانش لسه فيه حد عرف موضوع (privacy) .. و فجأة وبعد تفكير كده شوية .. لقيت أن الموضوع ملوش إلا حلين :

1 ـــ أن الناس كلها اتجننت .. أو كانت مجنونة وأنا اللى كنت فى الغيبوبة ومش واخدة بالى ... كل الناس فخورة بنفسها بطريقة مرعبة ... كله عايز يثبت لكله إنه أصبح أجمل أنجح أغنى ..

كل الفتيات قرروا أنه فيه وسيلة تانية للجواز ... وبسرعة كل واحدة قررت تضم أكبر قدر ممكن من الولاد لأصدقائها ... وصور كتيرة قوى .. صور صور فى كل مكان .... صور فى سيتى ستارز ... صور فى مارينا ... الساحل 2006 ... رحلة

الغردقة والجونة ... صور التخرج ... جروب العمل .. جروب النادى ... طبعًا غير صور الخطوبة .. كتب الكتاب .. الجواز .. العيال فى الحضانة وبعدين العيال فى المدرسة .... صور صور فى كل مكان ... صور تدل على أن الناس سعيدة بشكل رائع ... كل الناس ناجحين وبيحبوا والدنيا مفيش أحلى من كده

غير بقى الكمنت اللى بيكتب تحت الصور (وده بقى اللى كان بيخلى الضغط يرتفع عندى) ...

الله يا شيرى صورتك أمورة خالص ... ربنا يكرمك ويخليلك خطيبك ... إيه الحلاوة دى ؟؟

طبعًا كل ده بيكتب باللغة الغريبة اللى مش عارفة من العبقرى (الله ينتقم منه اللى اختراعها) اللغة اللى ماتعرف إنه عربى ولا إنجليزى واللى ياويلك لو كتبت بالعربى العادى (بتاع ربنا) هتبقى بيئة طحن ومش استايل !!!!

2 ـ أو أنا اللى مجنونة ... واحدة معقدة مش عارفة تواكب التكنولوجيا ... واحدة شبه الموبيل اللى شيلاه ..

المهم إنى لقيت نفسى ـ صراحة ـ فى حيرة حقيقية ... فى الأول حالة طويلة من الذهول ... ثم بعدها حالة من الحسد ... بقيت ليـل ونـهار عمالة أتفرج على السيرك اللآدمى .. وأسأل نفسى طب هو أنا ليه مليش 300 (فرندز) زى فلانة ؟؟ وأنا ليه مش عندى ولاد من ضمن (الفرندز) زى علانة ؟؟؟ وهو إيه المشكلة أنى أعمل(add) لزمايلى الولاد اللى عادى بشوفهم الصبح .. ما كل الناس عند كل الناس ... وليه أنا مش حاطة صورى زى كل الناس ... أنا مش فاتنة .. بس عندى كام صورة فى إسكندرية حلوين برضه ... يعنى ممكن أخلق لنفسى حالة من السعادة المتكاملة على النت وأوثقها وأثبت لكل الناس إنى حلوة ومبسوطة زيكوا ..

بس معرفش ليه معرفتش أعمل كده .... مقدرتش أعمل add لولا ولد أعرفه ... كانت خطوة كبيرة قوى .. ومعرفتش أنزل ولا صورة ليّا لا حلوة ولا وحشة ... حسيت أن ده فيه انتهاك لحرمة نفسى ... زى ما أكون كنت حاجة غالية قوى وقررت

بصورة أن أنزل لتحت قوى .. ضغطة زرار ـ فعلاً ـ ممكن تتسبب فى مشاكل كتير ... كل اللى حسيته أن ضغطة زرار على الكمبيوتر ممكن تخلينى أخسر نفسى ..

مانكرش إن الفيس بوك خلانى أحاول أصلح شوية من نفسى

ساعات كان بيلعب دور الطبيب النفسى والموضوع ده كان مخيف

يعنى كنت اللى بحس بيه بكتبه بطريقة غير مباشرة وبصورة ملفوفة شوية على (الوول بتاعتى) وأستنى كومنت الناس عليه وبعدين زهقت من الموضوع كله ..

كل الناس اللى معرفهاش وكنت أتمنى إنى أكلمها .عرفتها على الفيس بوك (بطريقة تطفلية لأنى مش من أصحابهم ... وده كان بيتعبنى نفسيًا أكتر أنى أتطفل على صفحة حد) .. بس الناس دى طلعت أى كلام ..

بنات فرحانة بنفسها لحد التخمة .. وولاد لقوا فى الموضوع فرصة أكتر للهزار والدردشة وأدينا بنضيع وقت وبنصاحب بنات

ببلاش ... عالم من البطيخ ... خلطبيطة ... بنات عمالة تعمل كويز للولاد وتنشرها على صفحة الولد اللى هى معجبة بيه .. ويمكن الصنارة تغمز ... وكله عادى .. وكله متاح بطريقة مريعة ..

لقيت نفسى فى النص .. حالة من حالات الإدمان .. كل يوم عايزة فيس بوك .. عايزة أتفرج على السيرك اللى مش قادرة اشترك فيه ... بصة من بعيد على فلان وفلانة ... ولقيت أن كل الناس زى حالاتى ..

وابتديت أحاول أنا وصحباتى نفك شفرة الفيس بوك .. لقيت نفسى بسأل أسئلة كتير ... بس الأكيد أنى بضيع وقت رهيب ... كل يوم أرجع من العيادة بالليل حوالى 12 .. علشان أقعد بالساعتين على الفيس بوك ...

لحد ما قرفت من نفسى وابتدى الوقت اللى بيضيع منى يصعب عليا قوى ... مسكت لستة (الفريندز). لقيت حاجة غريبة .. كل الناس المهمين فى حياتى بجد أنا معاهم يوميًا أو

بقــدر أوصلهم بالتليفون .... يعنى الهــدف من الفيس بوك (التواصل والكلام الأهبل ده) مش بيتحققلى عن طريق النت ..

اكتشفت أن الناس الغاليين عليا يستهلوا منى أكتر من كومنت هاكتبه على الوول بتاعهم ..

رحت أقفلت الأكونت بتاعى ــ بلا رجعة ــ إن شاء الله ..... وقولت كفايه تطفل وإدمان وأركز فى مذاكرتى أحسن ... وبقالى شهر دلوقتى أعتقد إنى أحسن حالاً من قبل كده ..

أتمنى أن أعرف رأيك فى الموضوع عامة ؟؟؟؟

هل أنا معرفتش أكون إنسانة اجتماعية فى مجتمع لازم تكون فيه اجتماعى بهذه الصورة المخيفة ؟؟؟؟ هــو أنا ليه معرفتش أتكيف مع الوضــع السائد ؟؟؟ وليـــه معرفتش أستحمل حالة الصخب الشديدة .. مهرجان الألوان الفاقعة اللى أنا شوفته ضر بالشبكية بتاعة عنيا وسببلى حالة من الصداع النصفى ...

ولا الموضـــوع أصـــلاً مش مستاهل المناقشـــة ؟؟ وأنا اللى ضخمت حاجة ومعرفتش أحطها فى حجمها الطبيعى ؟؟

شكرًا سيدى على الاستماع وآسفة جدًّا على الإطالة .

....

* أشكرك على هذا الخطاب الممتع وأنتظر رأى القراء فأنا لم أتعامل قط مع الفيس بوك . لا أنا ولا المؤلف !

د . رفعت إسماعيل

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

● صدر من هذه السلسله ●



روايات للجيب

رجفة الخوف

إنه الخوف .. كل الخوف ..
ولا شـىء إلا الخــوف ..





صدر من هذه السلسلة :

1ـ ليلة الفتى الكبش .
2 ـ خمّن .. من القادم على العشاء ؟
3 ـ التعويذة الغامضة .
4 ـ بستان التفاح المخيف .
5 ـ المزرعــة المنســية .
6 ـ لعنة التلميذ الجديد .
7 ـ ثورة الحيوانات .
8 ـ جنون فى المركز التجارى .
9 ـ رعب على الهضبة .
10 ـ سر جزيرة النخيل .



فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

1 ــ قصة لا تنتهى .
2 ــ حكايات من والاشيا .
3 ــ صفر ... صفر ... سبعة .
4 ــ إمبراطورية النجوم .
5 ــ ذات مرة فى الغرب .
6 ــ خيول ورماح .
7 ــ ألعاب إغريقية .
8 ــ مملكة الموتى .
9 ــ الخناقــون .
10 ــ الاسم شكسبير .
11 ــ نــداء الأدغــال .
12 ــ بين عالمين .
13 ــ رجل من كريبتون .
14 ــ من بعد سوبرمان .
15 ــ إعدام فى البرج .
16 ــ شبح وشيطان .
17 ــ اقتلوا بطوط .
18 ــ توم ومن معه !
19 ــ خمسة منهم !
20 ــ من فعلهــا ؟!
21 ــ لا تدخلوا شيروود
22 ــ قلعة السفاحين .
23 ــ أرض .. قمر .. أرض .
24 ــ فليدخل التنين .
25 ــ من أجل طروادة .
26 ــ عودة المحارب .
27 ــ آخر أيــام الرايخ .
28 ــ 1919 .
29 ــ الوطواط .
30 ــ عبقــرى .
31 ــ اسمه أدهم .
32 ــ فى مملكة الأخوين .
33 ــ أيام مع هانيبال .
34 ــ عرض لا تستطيع رفضه .
35 ــ ما أمام الطبيعة .
36 ــ حب فى أغسطس .
37 ــ فلاسفة فى حسائى .
38 ــ عينــان .
39 ــ صديقى جلجاميش .
40 ــ أرشيف الغــد .
41 ــ ألعاب فارسية .
42 ــ الملل بعينه .
43 ــ أسطورة نهرٍ .
44 ــ شىء من حتى .
45 ــ تشــى !
46 ــ الحالم الأخير .
47 ــ الساحر وأنا .
48 ــ اللغــــز .
49 ــ يوم غرق الأسطول .
50 ــ هى والأنــــا .
51 ــ فلننقذ الدوتشى .
52 ــ ب 4 م .
53 ــ بحَـــــاران .
54 ــ عبقرى آخر .
55 ــ عبقرى آخر .
56 ــ ليال عربية .

روايات عالمية للجيب

■ صدر من هذه السلسلة ■

1 ـ فلاش جوردن .
2 ـ كنوز الملك سليمان .
3 ـ دكتور نو .
4 ـ حرب النجوم .
5 ـ الفك المفترس .
6 ـ فوق مستوى الشبهات .
7 ـ رحلة إلى مركز الأرض .
8 ـ الغيبوبة .
9 ـ الشيطانة .
10 ـ لقاءات من النوع الثالث .
11 ـ وجاء العنكبوت .
12 ـ قبضة الشيطان الذهبية .
13 ـ نداء الأعماق .
14 ـ القتل دون مقدم أتعاب .
15 ـ سلالة أندروميدا .
16 ـ الغرفة الحمراء .
17 ـ وادى العناكب .
18 ـ صورة دوريان جراى .
19 ـ العالم المفقود .
20 ـ صانع الأمطار .
21 ـ ألف ليلة وليلة الجديدة .
22 ـ سباق الموت .
23 ـ كونغو ..!
24 ـ كلب آل باسكرفيل .
25 ـ مدينة مثل أليس .
26 ـ الحزّاز .
27 ـ مطار (77) .
28 ـ النطاق المسموم .
29 ـ الجزيرة .
30 ـ لا تنظرى الآن .
31 ـ جزيرة الدكتور مورو .
32 ـ عرين الدودة البيضاء .
33 ـ رحيق الملكات .
34 ـ وصية الثلاثين ألف دولار .
35 ـ العميل .
36 ـ ما وراء العالم .
37 ـ خلف جدار النوم .
38 ـ الغريم الخفى .
39 ـ قضية الذئب .
40 ـ الرجل الذى كان الخميس .
41 ـ الجزيرة الغامضة .
42 ـ 451 فهرنهيت .
43 ـ دورةالمذعوب .
44 ـ حكايات أوسكار وايلد .
45 ـ قلب الليل .
46 ـ كتب الدم .
47 ـ أوديسا الفضاء .
48 ـ دكتور جيكل ومستر هايد .
49 ـ حكايات مارك توين .
50 ـ 1984 جـ 1 .
51 ـ 1984 جـ 2 .
52 ـ موبى ديك .
53 ـ غريب فى أرض غريبة جـ1 .
54 ـ غريب فى أرض غريبة جـ2 .
55 ـ حكايات أندرسن .
56 ـ الستار .
57 ـ قصص من أزيموف .
58 ـ شرطى المكتبة .
59 ـ أسطورة سليبى هولو .
60 ـ كارميلا .
61 ـ محامى الشوارع .
62 ـ قاعة المرايا .
63 ـ جوهرة النجوم السبعة .
64 ـ مغامرات آرسين لوبين .
65 ـ أليس فى بلاد العجائب .
66 ـ قلعة الأسرار .
67 ـ عبودية الإنسان .
68 ـ نداء كتولو .
69 ـ لورد جيم .
70 ـ ماتيلدا .
71 ـ الرجل الذى يجمع كتب (بو) .
72ـ قطار الجحيم .
73ـ الرجل الخفى .
74ـ أفضل قصص الأشباح .

سافاری

صــدر من هــذه الســلـسـلـة :

رقم الإيداع : 11604
977 - 378 - 232 - 8